الخطاب العقدى الإسلامى

بين التحصيل والتأصيل

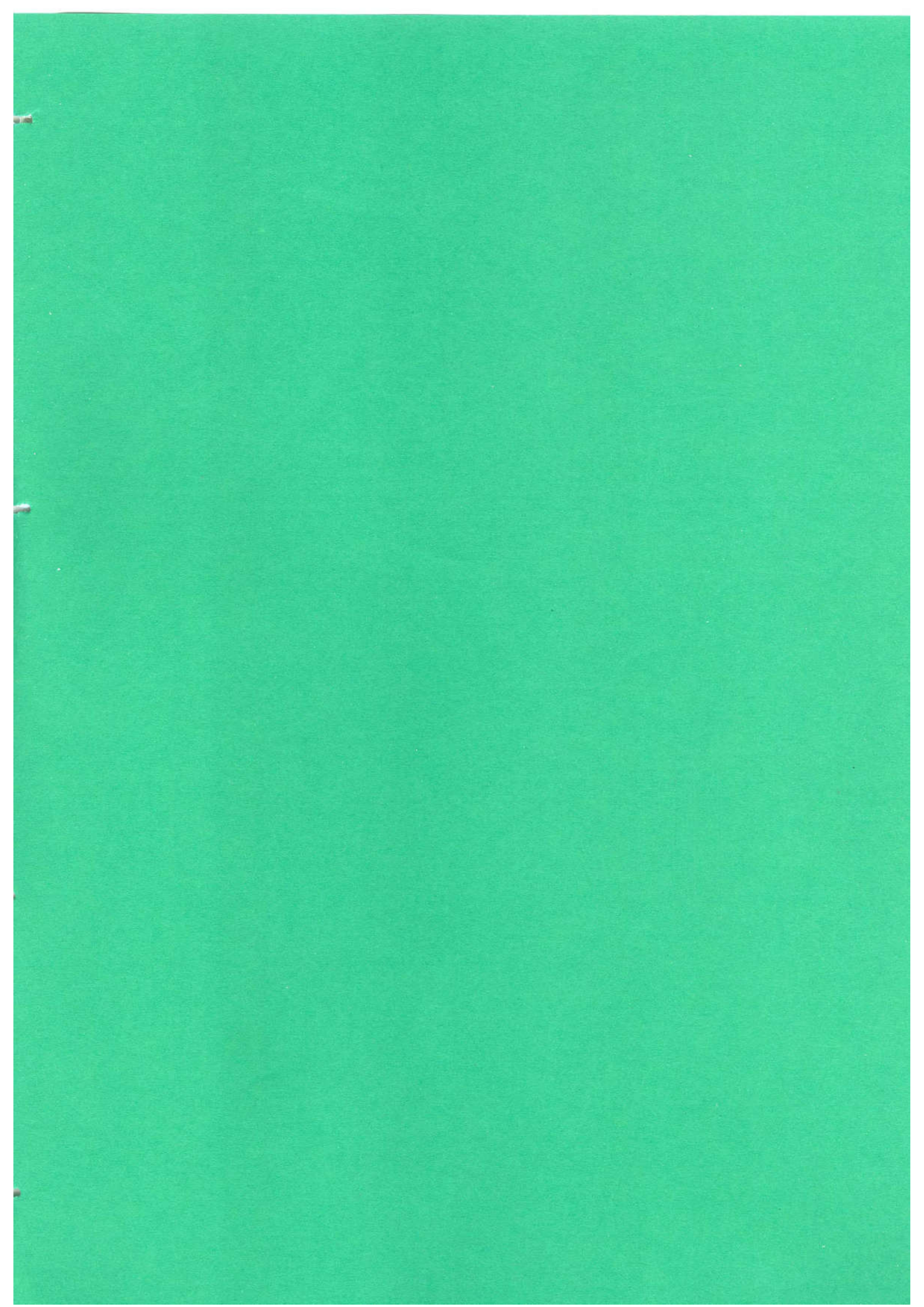
إعداد

دكتور/ رزق يوسف على الشامى

الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – فرع الفيوم

مجلة كلية دار العلوم العدد الثالث عشر يونيو ٢٠٠٥



الخطاب العقدى الإسلامى
بين التحصيل والتأصيل

بقلم

رزق يوسف على الشامى

الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – فرع الفيوم

مقدمة :

الحمـد لله رب العالميـن ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد ،

لقـد أصـبح تجديـد الخطاب الديني فى العصر الحديث ، وتنشيطه ضرورة ، وبخاصـة فـي هـذه الفترة التى أصبحت تكنولوجيا الاتصال فيه تمثل ثورة هائلة فى الميادين المختلفة ، فضلا عن سقوط أو تلاشى الحدود الزمانية والمكانية .

وإذا كانـت الحاجـة تقتضى عناية الباحثين بتجديد الخطاب الديني في جوانبه المخـتلفة : التشريعية ، والسياسية ، والاجتماعية، والاقتصادية وغير ذلك من جوانب التجديد ، فإن الجانب العقدى يعد من أهم الجوانب الجديرة بالتجديد والتفعيل ، وبخاصة فـى آليات الخطاب وأساليب دعوته ، وطرق نقله إلى الناس ، ومعنى هذا أن لابد من التأكيد على الجانب العقدى مع التمحيص الدائم لأسلوب أدائه كما يقول بعض الباحثين: (إن ضـم الجانبين العقدى والفكرى هو في النهاية إعادة الصلة بين الوحى والعقل ، أى بإعمال العقل فى إدراك الوحى وقضاياه وهداية العقل بغايات الوحى الكلية الكونية، وقيمه الحياتية والحضارية) [١].

إن الـتجديد فـي بنية وآليات الخطاب العقدى – فيما أظن – لا يزال فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث المستمر لإبراز أهميته ، فضلا عن الكشف والإبانة عن فلسفته ، وتطويره وتجديده ، أو قل إن شئت تنشيطه وتفعيله.

---

(١) عبد الحميد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ص٤٠.

ومـن ثـم كانـت فكرة هذا البحث التى تطرح فلسفة الخطاب العقدي الإسلامي وآلياته ، ووظيفته البالغة فى البناء العقدى الإيماني ، وذلك في ضوء المعايير والأسس والضـوابط والمنطلقات التى عرضها القرآن الكريم . وما رسخه من قواعد منهجية في مواجهـة المعوقات التى اعترضت سبيل تحصيل الاعتقاد ، وكيفية الإفادة من ذلك في مسـتقبلات الخطـاب مـن خلال بنية الإعجاز القرآني ونظمه ، مستفيدا من معطيات العلـوم الحديـثة وآلياتها ، في شرح وتوضيح الدلائل والبراهين الإقناعية بما يتناسب والعصـر الحديث ، وبخاصة إذا ثبت لدينا أن الخطاب القرآني خطاب مؤسس للاعتقاد الصحيح وموجه، ومولد للفكر القويم .

إن انطلاقـة هـذا البحث تأمل فى أن تكون خطوة على سبيل تزييف التشويش الدلالي لمعاني العقيدة ، وطرائق بنائها الذى يتم بصورة منظمة فى هذه الحقبة.

لا شـك أن الجوانـب التربوية للخطاب العقدى الإسلامي ذات أهمية كبرى في تأسـيس وترسـيخ الاعتقاد ، فإذا كانت هنا قواسم مشتركة بين الفئات المتباينة في مادة الخطـاب ومضـامينه ، فإنه لا ريب في تنوع وتباين أسلوب الخطاب وآليته [فخطاب الـبالغ من البشر في شئون العقيدة والتوجيه والتهذيب خطاب عقلى بالدرجة الأولى ، يهـذب وينضـج الغايات والمقاصد ، ويؤهل القدرات والإمكانات العقلية والذهنية لأداء أدوارهـا الحياتـية نحـو الغايـة الصحيحة ، أما خطاب الصغار في تلك الأمور فإنه بالدرجة الأولى يكون وينشئ الطبائع والطاقات النفسية التى سوف يتصف بها الفرد في مستقبل حياته](1) .

إن الحديـث عـن فقه الخطاب العقدي الإسلامي بخاصة ، والخطاب الإسلامي بعامـة ، لابـد أن يراعى تلك الفوارق بيت الفئات من المخاطبين وأحوالهم المختلفة ، فخطـاب غـير المسـلمين لابد أن يختلف في طرائقه عن خطاب المسلمين ، وخطاب حديثـي العهـد بالإسلام ، ليس كخطاب المسلم الملتزم ، فلكل فئة خطاب خاص يجيب عن التساؤلات الخاصة بها ، ويحل مشكلاتها ، ويرد شبهاتها(2).

---

(١) أزمة العقل المسلم ص٢١٠، ٢١١ .

(٢) أبوجرة سلطاني: الخطاب الإسلامي مقاربة عقلانية، مجلة الرسالة، العدد ١٨ ص٥٨.

وقد انقسم هذا البحث إلى مبحثين :

الأول :عـــالج مـــادة الخطـــاب، والرسالة التى يراد توصيلها إلى الناس ودراسة موانـــع تحصيل الاعتقاد، ووسائل الصدود التى يستخدمها المعاندون في قطع الاتصال بيـــن المخاطـــب والمتلقى ، كما يعالج آليات الخطاب العقدى وبنيته التى من شأنها رفع وإزالـــة كافـــة الحواجز والمعوقات التى تحدث خللا أو تعوق تحصيل المعتقد الصحيح والمؤسس لليقين .

والثانـــي : حملة هذا الدين ، وقراء الخطاب ومبلغيه ، وما يتعلق بهم من تأهيل وتربية وإعداد ، وقسمت هذه المسألة إلى جزئين : **الأول** تناول بصورة موجزة ما كان فـــي عهد النبوة من اختيار للرسل والمبلغين والدعاة لحمل الرسالة إلى الأمم الأخرى ، **والثانـــي** مـــا ينبغي أن يتم في العصر الحديث ، وبخاصة أننا في حاجة إلى إعداد جيل يحمـــل هـــذا الديـــن وينشره في العالمين بحجج وبراهين ، تحفظ الأصول ، وتؤسس الاعتقاد وتدفع الابتداع.

وجـــاءت الخاتمـــة متضـــمنة أهـــم نتائج البحث وفي النهاية وضعت ثبتا بأهم المصادر والمراجع .

والله – تعالى – الهادى إلى سواء السبيل ،

المبحث الأول

تأصيل الخطاب العقدى ومعوقات التحصيل

شرح المقصود

إذا أردنـــا التدقيق في هذا العنوان ، وحاولنا شرح معانيه لنتعرف على مفرداته ونشـــرح المقصود منه نجد أن به عددا من الألفاظ هى : الخطاب ، والعقدى الإسلامي، التحصيل، التأصيل .

أمـــا الخطـــاب فى اللغة[1] فهو كما ورد فى القرآن الكريم فى قوله الله تعالى : ﴿ فَقَـالَ أَكْفِلْنِـيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[2]، وهو الرسالة ، وفصل الخطاب فى قولـــه تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[3] أى الحكم بالبينة ، وقال ابن عباس : البيان الفاصـــل بيـــن الحـــق والـــباطل . وقـــيل : هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير فى اللفظ القلـــيل[4]. وهذا شأن الخطاب البرهاني على اعتبار أنه يعنى بالأشكال البلاغية كأدوات أســـلوبية، ووســـائل للإقناع والبرهان[5] . إن الخطاب فن الإقناع ، فضلاً عن أنه يمثل أداة كاشفة عن الابتكار ، فهو بمثابه وحدة فعل وتفاعل وتواصل [6].

ومـــن معـــانى الخطاب – أيضا – أنه يمثل (ظاهرة لغوية اجتماعية تتمثل فى مجموعـــة المفـــردات التواصلية التى تعبر عن محتوى الرسالة الاتصالية التى يتداولها الشركاء فى أية منظومة اجتماعية محددة) [7].

وقـــد يقصـــد بالخطاب فى الاصطلاح [التبليغ ، أو التدليل لإظهار الحجة وإيراد الدلـــيل ، أو التوجيه لبث قيم في الأقوال تستنهض همة الغير للعمل أو إيضاح معنى ، أو الفصـــل في القول . وتتفاوت قدرة الناس فى ذلك] [8]. والخطابة هى توجيه الكلام نحـــو الغـــير قصد الإفهام، وهى عبارة عن مجموعة من القوانين التى يقتدر بها على الإقناع ، فتحمل الناس على التسليم بصحة القول وصواب الفعل أو الترك [9].

---

(١) انظر في المعانى اللغوية لسان العرب والمعجم الوسيط .

(٢) سورة ص الآية (٢٣).

(٣) سورة ص الآية (٢٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٠٧.

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص ص٧٣.

(٦) الخطاب الفلسفي عند ابن رشد هامش ص ٣، ٤.

(٧) الخطـــاب الإســـلامى الماهـــية وإشكالات التجديد . وسام فؤاد – مقال بمجلة منار الإسلام " العدد ٣٦٨ ص٢٦.

(٨) الخطاب الدينى والواقع المعاصر ص١٠.

(٩) الحرب النفسية في صدر الإسلام ص٢٤٦.

أما القول (بالخطاب العقدى الإسلامى) فإنما نعنى بذلك الرسالة والبلاغ الحامل للعقيدة الإسلامية ومضامينها ، وفى هذا بيان للمعيار الرئيس فى تحديد واختيار المنهج، والمحدد له ، ألا وهو الإسلام ، وهذا يفيد أمرين :

الأول : التغير والتجدد فى آلية وأدوات الخطاب .

الثاني : الأصالة والثبات فى الاعتقاد، معتقدًا ومرجعية . فهو يستند في مرجعيته إلى الكتاب والسنة ، يبين هذا إضافة الإسلامي له حيث يعنى أنه كان خطابا وبيانا إسلاميًا . فالمحمول ثابت ، والأداة الحاملة متغيره متطورة.

هذا التغيير والتعدد يأتى من منطلق التأسيس على مبدأ الحكمة فى الدعوة إلى الله تعالى ، والتى تأخذ بمبدأ تعدد الأدوات لاختلاف أهميتها النسبية ، وذلك وفقا للمتغيرات الزمانية والمكانية ، أى أن هذه الأدوات لا تمثل سوى بدائل بها تتحقق فعالية الأداء البياني، والإقناعي بهدف الوصول إلى الغاية المقصودة [1].

أما التحصيل فهو في اللغة يعني رد الكلام إلى أصله ، وتخليصه من غيره وتمييزه ، كما أنه يعنى – أيضا – البيان كما في قوله تعالى : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[2] ويقال حصلت الأمر أى حققته ، وأبنته ، كما يقال : جمعته وثبته[3] .

ولعل التحصيل هنا يعنى- أيضا – بوسائل التعلم والتدريب ، فلا يعنى عدم التحصيل عدم صواب أو صحة القول، وإنما قد يكون العطب فى أدوات التوصيل والتعليم .

والمقصود فى هذا البحث التعرف على وسائل وطرائق التحصيل لدى السابقين، ومدى إفادة اللاحقين منها في تجديد الخطاب العقدي المعاصر.

أما التأصيل فيقال في اللغة : تأصل الرأى : جاد ، وأصل الشيء : قتله علما ومعرفة ، وأصل أصله : أى ثبت وقوى ، وتأصل الشيء، أى ثبت ورسخ، أصله

---

(١) الوظيفة العقدية للدولة الإسلامية ص٣٤٤.

(٢) سورة العاديات الآية (١٠) يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : (أى ميز ما فيها من خير وشر، كذا قال المفسرون ، وقال ابن عباس : أبرز) الجامع لأحكام القرآن، ١١١/٢٠..

(٣) لسان العرب ، المعجم الوسيط.

التأصيل[1] . فالتأصيل إنما يعنى صحة الاعتقاد فى ذاته وثبوته ورسوخه وامتلاكه القدرات التى تؤهله للتعامل مع الواقع بصورة إيجابية وفعالة [2]، بخاصة إذا ما أتيحت له الفرصة ،وأزيحت من أمامه المعوقات، فعدم تحصيل فريق من الناس ثمرات الاعتقاد مع ثبوت ورسوخ العقيدة وقوة حجمها وبراهينها ، وتنوع وتجدد وسائل تبليغها إنما يعنى أنه خطاب اعترضته معوقات حالت بين وصول الرسالة إلى الفئة المحددة. وبالرغم من تعدد هذه المعوقات وتباينها واختلافها إلا أنها قد عملت جميعا على قطع الصلة بين المُبلغ والمُبَلّغ ، وكان من أهم هذه القواطع وأبرزها فى منع التحصيل ما يلى :

معوقات التحصيل

يعد الاتصال المباشر والعلاقة بين المتلقي والداعى من أهم الأدوات التى تحدث أثرا بالغا فى توصيل المعتقدات والأفكار ، بل فى إحداث تغيير كبير وإيجابي في درجة الاستجابة، ولقد أدرك هذه الحقيقة كفار قريش فسعوا جاهدين لمنع اتصال النبي ﷺ بقومه، وتوصيل رسالته إلى الناس ، واتخذوا الوسائل المختلفة التى تمنعه من حرية الاتصال بهم . وقد أخذت هذه الوسائل مستويين[3] من المنع هما :

المستوى الأول : الحصار المادى ، وقد تمثل ذلك فى حصار كفار قريش فمنعوه فترة من الاختلاط بقومه ، هو وأتباعه ، حيث حاصروه فى شعب أبى طالب لمدة ثلاث سنوات . وكذلك – رأيناهم – يمنعونه هو، ومن آمن معه أيضا من قراءة القرآن فى المسجد، وفي الأماكن العامة.

المستوى الثاني : الحصار المعنوى [4]، وهو من الصور المرهقة فكريا والتى ستحتاج إلى جهد كبير، وعناء واضح لما تحدثه من خلط فى الفكر وتشويش مستمر على عملية الخطاب ، لا سيما أنهم كانوا يمارسونها أثناء وبعد الاتصال.

(١) القاموس المحيط مادة أص ل .

(٢) يقول د. عبد الحميد أبو سليمان : (مصطلح الأصالة لا يحتاج إلى إضافة أى أوصاف إليه حيث أن الأصالة بالضرورة تعنى الانبثاق من الذات والتعامل مع الواقع ، وبشكل إيجابي) أزمة العقل المسلم ص٦٧.

(٣) الاتصال الصامت – المسلم المعاصر ص١٠٧.

(٤) المصدر السابق. ص١٠٨.

أما قبل الخطاب فإنهم كانوا – أى كفار مكة ومعاندى النبي ﷺ – كانوا يقومون بعملية وضع كافة الموانع التى تحول بين الناس وسماعهم للخطاب، ولا يتركون لهم فرصة أن يسمعوا، فضلاً عن التشويش المستمر ، بالإضافة إلى النهى المستمر والترهيب وإيجاد البدائل الجاهزة المزهدة فى سماعه والتأمل فيه . قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1] . بل لقد بذلوا الجهد البالغ فى وضع كافة الموانع التى تحول بينهم وبين سماع القول فضلاً عن أن يعقلوه، ومن ذلك ما يحكيه ربنا وجل وعظم ، عنهم فى أكثر من آية فى مواقف متعددة.﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ*وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [2].

لقد كانت عناية القرآن الكريم بالغة فى تحليل ومعالجة قضية الاستماع وبيان مالها من تأثير واضح فى عملية الاتصال، ومن ثم قبول المعتقد والفكر المطروح ؛ لذلك جاءت آيات متعددة تشرح علل عدم الإيمان والأمراض أو العقبات التى تحول بين الناس والاعتقاد الصحيح ، فكانت هذه المعوقات ذات أثر سلبي فى عملية الاستجابة للفكرة ومن أهم هذه المعوقات:

١ – **التحريف والتبديل** قال الله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [3]. والتحريف يكون بتغيير معانى الكتاب والسنة إلى معانى أخرى لا يدلان عليها ، والتحريف نوعان : لفظى ومعنوى، أما اللفظى : فقول بنى إسرائيل: حنطه مكان حطة تارة ، وتارة أخري يقولون حبة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ*فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ

(١) سورة فصلت . الآية (٢٦).

(٢) سورة فصلت. الآيتان ٤، ٥.

(٣) سورة البقرة . الآية (٧).

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[١] ، روى البخارى في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قيل لبني إسرائيل أدخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ، فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا حبة فى شعرة[٢].

وأما المعنوى كتحريف استوي عقب استولي[٣] . والآيات فى ذلك كثيرة .

وهذا التحريف من أبلغ أنواع التشويش فى المعاني والدلالات والألفاظ .

وكانوا يعارضون القرآن بأساطير الأولين ، حيث كان النضر بن الحارث قد قدم من الحيرة وتعلم فيها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسفنديار يقول ابن هشام : (وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث أهل الفرس وأحاديث رستم واسبنديار فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه فهلم إلى . أنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا منى ؟[٤] بل لقد اشتري النصر بن الحارث هذا – قينة ، فلم يكن يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول لها: أطعميه واسقيه وغنيه ، هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه ، فنزل فيه قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٥].

وتلك مبالغة واضحة فى التشويش، وإثارة الشغب، والإرهاب الفكرى ووضع شتى الحواجز بين الناس وسماع القرآن الكريم .

---

(١) سورة البقرة ٥٨، ٥٩.وقال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ*فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (سورة الأعراف ١٦٢:١٦١)

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص٣٥.

(٣) انظر: فتح الباري ٦/ ٥٠٢ حديث رقم ٣٤٠٣.

(٤) ابن هشام – السيرة النبوية جـ١/ ٢٩٧، ٢٩٨.

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٦،٣٧،الرحيق المختوم ص ١٢٨ والآية من سورة لقمان الآية (٦).

إن قولـــة النضـــر هذه تمثل – كما قلت – إرهابا فكريا وممارسة ضغط وإلزام لقـــبول الـــرأى، وهـــو شـــبيه بما يمارسه الغرب الآن عن طريق التحكم المنظم فى المعلومـــات ، ومـــن ثم تصبح وسائلهم الإعلامية أشبه ما تكون فى عملها عمل سحرة فـــرعون الذيـــن ســـحروا أعين الناس واسترهبوهم[١] . ألا يعد هذا من قبيل الإرهاب الثقافـــي قديمًـــا وحديثًا ؟؟ لقد بلغ الأمر بأبي لهب أن يتتبع رسول الله ﷺ عند ما كان يخـــرج إلـــى الـــناس فـــي منازلهم ، وعكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ليدعوهم إلى الله تعـــالى، بلـــغ الأمر بأبي لهب أن يسير خلفه متتبعا أثره يقول للناس : لا تطيعوه ، فإنه صابئ كذاب [٢].

بـــل لقـــد كون كفار قريش مجلسا استشاريا لكف الحجاج عن استماع الدعوة ، فجلسوا بالطرقات فلا يمر بهم أحد إلا حذروه [٣].

٢- **الاســـتكبار** : حيث يعد الاستكبار معوقا رئيسا للسماع ، ومعطلاً واضحا له يقول الله سبحانه وتعالى بينا ذلك :﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْـمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤] . ويقول عز وجل :﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَـأَنْ لَـمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٥]. إن المتكبر إذا ما عرض علـيه الحـــق أعـــرض عنه ، أزعجه صوت الحق ، فتجده دائما في اضطراب فكرى يحجبه عن الحقيقة ، وإن كان يظهر يقينا زائفا.

٣- **اللهـــو واللعب أثناء السماع** : قال الله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْـدَثٍ إِلَّـا اسْـتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [٦]. بل لم يقتصر الأمر بهم على السماع واللهو والاشتغال بأشياء أخرى وإنما كانت قلوبهم – أيضًا – (معرضة عن ذكر الله متشاغلة عـــن التأمل والتفهم)[٧] ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾[٨] . فعطلوا بذلك أجهزة الاستقبال السمعية ، وأغلقوا مفاتيح عقولهم ، فلا سمع ولا عقل .

---

(١) الجوانب الإعلامية ص ٣٨، ٣٩.
(٢) الرحيق المختوم ص١٢١.
(٣) المصدر السابق ص١١٩، ١٢٠، ١٢١.
(٤) سورة الجاثية الآية (٨) .
(٥) سورة لقمان الآية (٧).
(٦) سورة الأنبياء الآية (٢).
(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٨.
(٨) سورة الأنبياء من الآية الثالثة .

٤- **الهـــرب مـــن الحـــوار** : لقد رأينا الكفار لا يرغبون في تحصيل شيء من العقـــيدة المعروضـــة عليهم ، بل كانوا يهربون من مجرد الحوار والحديث عنها ، وقد أعطانا القرآن الكريم صورة لذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [١].

٥- **جـــبرية التقالـــيد** : إن مـــن أهـــم معوقات الاستجابة والتحصيل لمسائل الاعتقاد وأصوله جبرية التقليد والجمود عليه، وهذا يصيب بطبيعة الحال العقل بالصمم والعقـــم الفكـــرى، والأمة بالتراجع الثقافي أيضا [٢]. لأن التقليد يعتمد دائما على اختيار منهجـــية التلفيق السهل العقيم والذى ينعزل عن الواقع والممارسات العملية [٣]وقد جاء القـــرآن الكـــريم بـــالعديد من الآيات يوضح فيها مدى تشبث الكفار والمشركين بتراث الآباء والأجداد، وإصرارهم على متباعتهم،مع علمهم، بانعدام النفع، وعقم الفائدة. يقول الله تعـــالى:﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[٤]،﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٥] ﴿قَـــالُوا مَـــا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾[٦] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَـــالُوا وَجَدْنَـــا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾[٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[٨]﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٩].

ولذلـــك نعـــى علـــيهم القرآن الكريم هذا التقليد والجمود عليه، وسعى فى خطابه العقـــدى فوضع المبادئ الأساسية لمحاربته والآلية لتحرير العقل، داعيا إلى مراجعة تلك العـــادات والتقالـــيد بموازيـــن العـــدل والحق والحرية فيقول لهم : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا

(١) سورة فصلت الآية (٢٦).
(٢) إن التقلـــيد يخلق مناخا فكريا مليئا بالجبرية والاستبداد ، ومانعا ومعوقا للانطلاق الفكرى ، وملوثا للبيـــئة الفكرية، فضلا عن أنه يوجه إلى نوع مخصوص في البحث ، والحيلولة دون الولوج إلى ميادين بحثية يفرضها الإكراه الحضارى في الواقع المعاصر]انظر ملوثات البيئة الفكرية ص ٦٥، ٧١
(٣) أزمة العقل السلم ص١٠٤.
(٤) سورة الأنبياء االآية (٥٣).
(٥) سورة الشعراء الآية (٧٤).
(٦) سورة سبأ الآية (٤٣).
(٧) سورة الأعراف الآية (٢٨).
(٨) سورة لقمان الآية (٢١).
(٩) سورة الزخرف الآية (٢٢).

يَعْقِلُــونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[1] ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِــدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[2] يقول الإمام الطبرى فى تفسيره لهذه الآية: (يقول تعــالى ذكره لهؤلاء الكفار : فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمــركم بــه ربكــم ، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئا ، ولا هم مصيبون حقا ، ولا مدركــون رشــدا ؟ وإنمــا يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل لــه وفي نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه– فيما هو به جاهل – إلا من لا عقل له ولا تمييز)[3]

قــد تبيــن لــنا إذن أن الجهل من مغذيات التقليد، وأداة من أدوات هيمنته على العقــول ، وحــائلا دون البحث الفكرى الجاد ، حتى إنه ليخيل للقارئ أن البحث السليم إن هــو إلا تشــويش ، بــل يصــور التطاول على الفكر بسالة وشجاعة ... لذلك كان الخطــاب التوحيدى يركز على أهمية الوحي وأثره في تأسيس وتقديم البديل الحضاري المؤسس على الإقناع والاقتناع .

ومن هنا نعلم أن التقليد لا يقتصر أثره فحسب على البيئة الفكرية وحدها ، وإنما يــتعداها إلــى العقيدة بالدرجة ذاتها لذلك [يجب أن يعلم المسلمون أن الإسلام في حقيقة الأمــر هــو دعوة مستمرة ، ودائمة للتحرر من التقليد بالتأصيل ، وطريقها المراجعة الدائمــة لخبراتنا المتنوعة وخبرات الإنسانية بالوحي ، كتابا وسنة ، لأن الوحي من أهم عناصــر تطهــير البيئة الفكرية من التقليد ، وما جاء الإسلام إلا من أجل تقديم البديل الحضــارى المؤسس على الإقناع والاقتناع – محرك أساسي للأداء الحضاري لمنتظر لتجاوز التقليد بالتأصيل][4] .

ومــن هــنا كــان لابد من التحرر من هذه القيود بكافة صورها ، والانعتاق من قــيود التقليد بارتياد آفاق الحرية التى تعد مفتاحًا حقيقيا في سبيل التحصيل المصحوب بالامتناع ، والمؤدى إلى السلوك الاجتماعى والحضاري الفعال .

---

(١) سورة البقرة: من الآية(١٧٠).

(٢) سورة البقرة : الآية (١٧١).

(٣) انظر تفسير الطبرى ٣/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) ملوثات البيئة الفكرية – المسلم المعاصر ص٦٤

يَعْقِلُــونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[1] ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِــدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[2] يقول الإمام الطبرى فى تفسيره لهذه الآية: (يقول تعــالى ذكره لهؤلاء الكفار : فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمــركم بــه ربكــم ، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئا ، ولا هم مصيبون حقا ، ولا مدركــون رشــدا ؟ وإنمــا يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل لــه وفي نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه– فيما هو به جاهل – إلا من لا عقل له ولا تمييز)[3]

قــد تبيــن لــنا إذن أن الجهل من مغذيات التقليد، وأداة من أدوات هيمنته على العقــول ، وحــائلا دون البحث الفكرى الجاد ، حتى إنه ليخيل للقارئ أن البحث السليم إن هــو إلا تشــويش ، بــل يصــور التطاول على الفكر بسالة وشجاعة ... لذلك كان الخطــاب التوحيدى يركز على أهمية الوحي وأثره في تأسيس وتقديم البديل الحضاري المؤسس على الإقناع والاقتناع .

ومن هنا نعلم أن التقليد لا يقتصر أثره فحسب على البيئة الفكرية وحدها ، وإنما يــتعداها إلــى العقيدة بالدرجة ذاتها لذلك [يجب أن يعلم المسلمون أن الإسلام في حقيقة الأمــر هــو دعوة مستمرة ، ودائمة للتحرر من التقليد بالتأصيل ، وطريقها المراجعة الدائمــة لخبراتنا المتنوعة وخبرات الإنسانية بالوحي ، كتابا وسنة ، لأن الوحي من أهم عناصــر تطهــير البيئة الفكرية من التقليد ، وما جاء الإسلام إلا من أجل تقديم البديل الحضــارى المؤسس على الإقناع والاقتناع – محرك أساسي للأداء الحضاري لمنتظر لتجاوز التقليد بالتأصيل][4] .

ومــن هــنا كــان لابد من التحرر من هذه القيود بكافة صورها ، والانعتاق من قــيود التقليد بارتياد آفاق الحرية التى تعد مفتاحًا حقيقيا في سبيل التحصيل المصحوب بالامتناع ، والمؤدى إلى السلوك الاجتماعى والحضاري الفعال .

---

(١) سورة البقرة: من الآية(١٧٠).

(٢) سورة البقرة : الآية (١٧١).

(٣) انظر تفسير الطبرى ٣/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) ملوثات البيئة الفكرية – المسلم المعاصر ص٦٤

الحرية :

إن القـــارئ المـــتفحص لمنطلقات الخطاب العقدي في الإسلام ؛ يجد أن من أهم الملامـــح الأولـــية لهذه الآلية ولبها ، بل سداها ولحمتها يتمثل في الحرية، فالحرية في التعبـــير وطـــرح الأفكـــار، فضلا عن اعتناقها هو المفتاح الرئيس للخروج من جبرية التقاليد والعادات ، لذلك حمل الإسلام خطابا مؤسسا لهذا المبدأ **(مبدأ الحرية)** والخروج علـــى مآثر الجاهلية والانعتاق من قيودها . لماذا ؟ ذلك لأن الإيمان لا يولد إلا في جو من الحرية الحقة والنبيلة يقول الشيخ محمد الغزالي:(إن الجو الذي ينتظر ميلاد الإيمان الصـــحيح فيه ، هو جو الحرية النبيلة والطمأنينة الشاملة ، وهو ما ينشده الإسلام للناس كافـــة) [١] ، ثـــم بين لنا – الشيخ – أن هناك من يؤمن بالرشوة ، وآخر بالسيف وثالث بالتقلـــيد ، بـــيد أن الصـــورة المثلى إنما هي لتلك التي تنبثق من تفكير هادىء ، ملئ بالوعـــي ، والفهـــم والاســـتدلال ، وإعمال النظر في ملكوت الله تعالى : [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ*الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُـــوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُـــبْحَانَكَ فَقِـــنَا عَـــذَابَ الـــنَّارِ*رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَـــارٍ*رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّـــرْ عَـــنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ] [٢] ولم يكن يحقق ويغذى هذه الحرية ويعطيها طبيعتها الفاعلة، وقدرتها على إعمال النظر سوى الإيمان (فالإيمان في الإسلام بالذات لـــيس نوعا من الإعلام الخبري بوجود الله وسائر أصول العقيدة ــ ولا هو مأخوذ من تـــراث الآبـــاء ، بـــل هـــو مبني على التفكير في تلك الأصول وجعلها مسائل للبحث والدلـــيل والـــبرهان ، باستعمال العقل ، وخصوصا التفكير في هذا العالم وفي الإنسان ومكانه فيه ، واتخاذ نقطة البداية للاستدلال) [٣].

والآيـــات التي دعت إلى ذلك ، وحضت عليه، بل وناشدتهم أن يتدبروا ما أبدع الله مـــن كائـــنات كثـــيرة متعددة من ذلك قوله تعالى : ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ

(١)محمد الغزالي : حقوق الإنسان ص٩٠.

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٩٠ –١٩٣

(٣) من أساليب الإقناع ص١٠٩

وَالْــأَرْضِ وَمَــا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [1] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [2] .

إن الخطــاب العقــدي الإســلامي عندما قرر حرية الاعتقاد ، وجعلها من أهم خــائص الــتحرر الإنساني ، والركيزة الأولى لحقوق الإنسان والتي بها تثبت إنسانيته، يقــول الإمـــام محمد عبده [تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما : استقلال الإرادة ، واستقلال الرأي والفكر وبهما كملت له إنسانيته] [3].

إنـــه إذ يقـــرر ذلــك فإنـــه يؤسس لها مبادئ رئيسة تكون لها قدرتها الإيجابية والفعالة من هذه المبادئ [4]:

أولاً : أنـــه لم يرغم أحدا على ترك دينه واعتناق الإسلام فقال تعالى : (لا إِكْرَاهَ فِــي الدِّيــنِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[5]. وقال الله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْــأَرْضِ كُلُّهُــمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[6] . وخطاب الممارسة لهــذه الحــرية نجــده ماثلا في معاهدة عمر بن الخطاب مع أهل بيت المقدس : هذا ما أعطـــى أمير المؤمنين عمر لأهل إيلياء من الآمان ،أعطاهم أمانا لأنفسهم ، ولكنائسهم وصـــلبانهم لا تســـكن كنائســـهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ، لا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم].

بـــل لقد كان الإسلام صريحا وحاسما في هذه المسألة ، حيث كانت حرية العقيدة هـــي الأساس في الدعوة الإسلامية ، والأساس في التنظيمات الإسلامية – أيضا – فلقد ضمنت حرية الاعتقاد لرعاياها من غير المسلمين ، بل لقد كان الجهاد الإسلامي –

---

(١) سورة يونس الآية(١٠١)

(٢) سورة الأعراف الآية(١٨٥)

(٣) رسالة التوحيد ص ١٢٨

(٤) انظـــر هـــذه المـــبادئ بتفصيل في :الغزالي: حقوق الإنسان ص ٨٤ – ٩١ د.على عبد الواحد وافـــي: حقوق الإنسان في الإسلام ص ١٠٧ إلى ١١١ ، حقوق الإنسان في الإسلام د. محمود غزلان ص ٢٨ وما بعدها .

(٥) سورة البقرة ٢٥٦

(٦) سورة يونس : ٩٩.

كما سنرى – دفاعا عن حرية العقيدة، وتمكينا من أداء المسئولية [1].

ثانــيا : حرية المناقشات الدينية ، مع أتباع الديانات الأخرى ، وتترك الفرصة للــتأمل ، وأن يكون الدليل والحجة والبرهان ، وقرع الحجة بالحجة هو عماد الحوار . قــال تعــالى :(ادْعُ إِلَــى سَــبِيلِ رَبِّــكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[2]. وقال :(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ)[3].وقال:(قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا)[4]. (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[5].

ثالــثا : رفض التقليد المجرد ، والدعوة إلى الاتباع المبني على اليقين والاقتناع، ولذلــك فإنــنا نجــد كثــيرا مــن علماء التوحيد يذهبون إلى عدم صحة إيمان المقلد ، ومــنطلقهم في ذلك ناشيء من علة مهمة ، وهى أن التربية التى تبني على التسليم بغير إعمــال العقــل وتأملــه ذات أثــر ضار على العقيدة بخاصة[6] ، وحياة الإنسان بعامة فالإيمــان إنمــا يقصــد إلــى ترقــية العقل ليعمل الإنسان ، وهو يفقه أنه الخير النافع المرضــى لله تعــالى ، ويــترك الشر وهو يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته ، وبذلك تتأسس البصيرة المميزة بين الرديء والفاسد ، والصحيح الصالح .

وهــذا مــن شأنه حماية الإنسان من البدع والضلالات يقول الإمام محمد عبده : (وكــل مــا تراه من البدع المتجدده فمنشؤه سوء الاعتقاد الذى نشأ من رداءة التقليد ، والجمود عند حد ما قاله الأول بدون بحث في دليله ، ولا تحقيق في معرفة حاله)[7].

والإســلام إذ يدعو إلى الحرية وترك التقليد ، فإن هذه الحرية لا تعنى – بحال– الــتحرر المطلــق والخــروج من منطقة القطعيات التى حددتها عقيدة ختم النبوه من مســائل العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع [وهى التى تجسد الوحدة العقيدية والفكرية والشــعورية للأمة المسلمة][8].فبقدر إطلاق حرية الاختيار والاعتماد على العقل والحث

---

(١) أزمة العقل المسلم ص١٥٠.

(٢) سورة النحل١٢٥ .

(٣) سورة البقرة١١١

(٤) سورة الأنعام١٤٨

(٥) سورة العنكبوت٤٦

(٦) ومــن هــنا تــتحرر مسألة النزاع في أول واجب على المكلف ، ويتبين لنا مراعاة حال المدعو ، ومــن نربــيه ، والــتفريق بين أبناء المسلمين وتربيتهم على تقرير الاعتقاد من الكتاب والسنة وإعمال العقــل وإقامــة الأدلة والبرهان ، وبين من يدعون بدءًا إلى الإيمان من الخصوم يقوم الأستاذ الإمام : (فالإســلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي ، والفكــر الإنســاني الــذى يجــرى على نظامه الفطري [وهو ما نسميه بالنظام الطبيعي] فلا يدهشك بخــارق للعــادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتاده ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية) . انظر الإسلام والنصرانية ص٤٨.

(٧) الإسلام والنصرانية ص١١٤ [فالمقلد إنما ينظر من عمل المقلد إلى ظاهره ولا يدري ولا ما بني عليه ، فهو يعمل على غير نظام ، ويأخذ الأمر على غير قاعدة] السابق ص١٤٣.

(٨) أولويات الحركة الإسلامية فى العصر الحديث ص١٠٢.

علــى اســتعماله ، بقدر ما ينبغي أن نحذر منه ، فكما يقول محمد إقبال : (نرحب من أعمــاق قلوبــنا بتحرير الفكر الإسلامي الحديث ، ولكن ينبغي أن نقرر أيضا أن لحظة ظهــور الأفكــار الحــرة في الإسلام هي أدق اللحظات في تاريخه ، فحرية الفكر من شأنها أن تنزع إلى أن تكون من عوامل الانحلال] [1]

الجهاد :-

إن اختــيار أســلوب البلاغ ونشر الفكرة وبذل الجهاد في بثها وعرضها يتوجه أولا للــناس كافــة ، فتؤتى ثمرتها لدى أولئك (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)[2] يلاحــظ هــنا – أن القرآن يتيح الاختيار بين الأشياء الحسنة ، يمدح ويحث إلى اختيار الأحسن ويظل القرآن الكريم متمسكا بهذا السلاح الخطابي لايحيد عنه إلى غيره إلا إذا أجبره الخصم إجبارا ، كأن يصدوا عن السماع ويعترضوا طريق البلاغ ، ولا يفسحوا للخطــاب ، فهــنا لا بد من لغة أخرى للخطاب وهي اللغة العسكرية متمثلة في الجيش الإســلامي، فــيكون الجهــاد هنا عبارة عن حماية دعوة الحق وعقيدته من أن يعتدي علــيها ، وفــتح الطريق لهذا الدين ليصل إلى النفوس مع إزالة كافة الحواجز والموانع من أمامه[3]

إن إزاحــة هذه العقبات وتلك المعوقات [4] من طريق إبلاغ الخبر وتوصيله إلى الــناس ، ورفــع كافة موانع الاستماع وحواجزه هو أحد أنواع هذا الجهاد ، بمعنى أنه أحــد وسائل نشر الحرية [إذا أصر الأعداء على صد المؤمنين عن سبيل الله ، أو حالوا بينهم وبين تبليغ دين الله ، وجب على المسلمين الدفاع عن دينهم ولو بالحرب] [5] .

إن الــنظر في القتال أو الصدام العضوى هذا يجب أن يفهم في إطاره الصحيح حيــث يعد رسالة اتصالية في المقام الأول ، تهدف تثبيت قيم وعقيدة محددة ، تجعل من الجهاد الإسلامي حقيقة وتعاليم فكرية وأخلاقية [6]

لذلــك رأيــنا القواعــد المحددة لهذه الوسيلة، تحمل العديد من ضوابط وقواعد ممارســة هذا الفن ، وهى – كما سنرى – فى مجملها دعوة إلى القواعد الإسلامية فهى تخضــع لمجموعــة مــن المبادئ المعنوية والأخلاقية تبرز بوضوح من خلال أحاديث النبي ﷺ من ذلك قوله ﷺ:

---

(١) تجديد التفكير الديني ص١٨٧

(٢) سورة الزمر: ١٨

(٣) وظيفة الأخبار في سورة الأنعام ص٢٢٦ ، ٢٢٧، ٢٢٨

(٤) ومــن هــذه الحواجــز – مــثلا- تلــك الأنظمة الطاغية الظالمة المستبدة ، التي تصد الناس عن الاســتماع ، ولذلــك فالجهاد يقيم مكانها نظمًا عادلة تكفل الحرية وتنشر الحق والعدل . انظر في ذلك: ظلال القرآن جـــ١/٢٩٩٤

(٥) إنصاف الخصم في القرآن ص٢٨٤

(٦) الوظيفة العقيدية ص٣٠١

-(انطلقـوا باسـم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلاً، ولا صـغيرا ، ولا امـرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا (إن الله يجب المحسنين)[1].

-(اغـزوا باسم الله وفي سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ، ولا تغلـوا ، ولا تمـثلوا ، ولا تقـتلوا وليدا)[2]. وينبغي أن يكون معلومًا أن هذه الأداة في حراسـة الخطـاب الديني إنما تكون من خلال إطار الدولة الإسلامية ووظيفتها ، ومن واجـبات الإمام ومسئوليته ، حيث يحدد ضوابط وقواعد هذه الآلية في ضوء المعطيات التى يتعين عليه بها حفظ الدين ونشره.

من آليات الخطاب العقدى :

وتـتجدد فـرص عـرض العقـيدة بأكثر من صورة وفي أكثر من موقف وفي مقامـات مخـتلفة فرأيـنا أسلوب خطاب سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه إلى التوحيد يـتجدد في اليوم الواحد أكثر من مرة – كما سيأتي في الآيات القرآنية الكريمة؟ ولذلك أحـدث فـي نفوسهم رسوخا واستقرارا من شأنه تأسيس اليقين يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *فَلَمَّا جَنَّ عَلَـيْهِ اللَّـيْلُ رَأَى كَوْكَـباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغـاً قَـالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّـمْسَ بَازِغَـةً قَـالَ هَـذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [3]

لقـد مـنح الله تعـالى سيدنا إبراهيم قدرة على تنويعه الخطاب مع قومه بتنوع المـناخ الكفرى الخاص بكل طائفة وفئة وكذا المقام ، فلقدد رأيناه [يستعمل لكل صنف مـن قومـه أسلوبا يتلاءم مع نوع عقيدتهم وطبيعة أشخاصهم، فما تلاءم مع الأسلوب الحـواري والإقناعي مع أبيه لا يتلاءم مع قومه عبدة الأصنام، وما تلاءم من الأسلوب مـع عبادة الأصنام لا يتناسب مع عبدة الكواكب، وما تلاءم مع هؤلاء جميعا لا يتلاءم مع النمروذ الملك الظالم فرعون مصر آنئذ] [4] .

ففـي هذا الحوار ندرك الميزان الأكبر – كما يقول – الغزالي حيث نجد تحول سـيدنا إبراهـيم عليه السلام إلى دليل أوضح مما عجز عن فهمه النمرود حيث قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[5].

فوضـع هـذه الحجة على صورة قياس تصبح كالآتي كل من يقدر على إطلاع الشمس فهو الإله وإلهى هو القادر على الإطلاع فإلهى هو الإله دونك يا نمرود[6].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب دعاء المشركين حديث رقم : ٢٦١٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب دعاء المشركين حديث رقم : ٢٦١٣.

(٣) سورة الأنعام من (٧٤: ٧٨)

(٢) مناهج أولى العزم من الرسل ص١٣٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية : ٢٥٨.

(٤) الغزالي : القسطاس المستقيم ص ٣٢، وانظر دراسات منطقية عند فلاسفة الإسلام جـ١/ ٣١، ٣٢.

إن هــذا الأســلوب الذي سلك فيه سيدنا إبراهيم مسلك التدرج ومسايرة الخصم لــيدحض حجــته ، إنما يلفت فيه – أيضا – الخصم إلى ما في حجته من خلل كما جاء هــذا الخطاب متضمنا المزاوجة والمراوحة بين تلك الأساليب المختلفة فجمع بذلك بين (تنشــيط الذهــن للمــتابعة، وتحقــيق المــتعة العقلية والوجدانية للمتلقي وفاء بحاجاته النفسية) [١] .

وإذا نظــرنا إلى هذه الصورة وقارناها بما فعله قوم نوح نجد أنها متكررة وأن ســيدنا نوح عليه السلام قد سلك طرائق مختلفة وصورا كانت تتجدد زمنا وهيئة اتخذت وســائل إعلام وتبليغ متعددة فكانت ليلا ونهارا وسرا وجهرا وعلانية . قال الله تعالى : ﴿قَــالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ [٢] وقال ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْــتُ لَهُــمْ وَأَسْــرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾[٣] فتلك صورة رائعة من صورة الإصرار على تواصــل الخطــاب والتبلــيغ وتحين كل الفرص لذلك [٤] . يقول النسفي :[أي خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل أنه دعاهم ليلا ونهارا في السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن، وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتديء بالأهون بالأشد فالأشد فافتــتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثني بالمجاهرة فلما لما تؤثر ثلث بالجمع بين الإســرار والإعلان وثم تدل على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما] [٥] .

ولكــنهم قــد سلكوا كافة المسالك للصد وعدم الاستماع مثلما فعل المشركون مع نبيــنا محمد ﷺ فقال تعالى مصورا هيئاتهم هذه بقوله تعالى :﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾ .

العالمية والاستمرار :

تعــتمد الآيات القرآنية في بنائها العقدي على خطاب إلهي يدعو إلى التجديد في دلائلــه ، ثابــت في مسائله ، مما يعني استمرارية الخطاب وتجدده في الآن نفسه يقول

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ص٣٥٦ .

(٢) سورة نوح الآية (٥)

(٣) سورة نوح الآية (٨– ٩)

(٤) في ظلال القرآن ٣٧١٢/٦ .

(٥) مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل ٣٩٥/٤.

بعـض الباحثيـن (وهذا الخطاب الموجه من الله للكفار ليس محصورا بإملاء المسائل العقديـة ، تاركـا للرسـول تحديد دلائلها وفق الظرفية التي يعيشها في بيئته وزمنه ، لـيخلفه العلمـاء بعد ذلك في تحديدات أخرى ملاحقة للظرفيات المتغيرة ، كلا " يا أيها الناس" توجه الكافر إلى المسالك السديدة للعلم بمسائل العقيدة والإيمان بها) [١]

ونجـد ذلك واضحا جليا في كثير من الآيات القرآنية وبخاصة الآيات المصدرة بقـول الله سـبحانه وتعـالى : (يـا أيها الناس) ، فهي وإن كانت موجهة إلى الكافرين والمشـركين فـي كـل زمان ومكان ، فإن المؤمنين - أيضا - يدخلون فيها لاستدامة إيمانـه فـيكون فـي حق الكافرين والمشركين تأسيسا وبناء ، وتكوينا للفكر والعقيدة ، وللمؤمنين زيادة في اليقين ، وتجديدا في الدين .

ولـنأخذ - هنا- مثالا على الدوام والاستمرارية في الخطاب وهو - هنا - قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَـلَ لَكُـمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقـاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَـأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [٢]

فهـذا خطـاب للناس جميعا يحمل معه تجربة واقعية فاصلة لا مما حكة فيها ، وهـو خطـاب وإن كـان قد نزل في مواجهة جيل من أجيال الناس إلا أنه متجدد في حيويـته وقوتـه وحجته وتحديه المستمر يقول سيد قطب :[وهذا التحدي ظل قائما في حـياة الرسـول ﷺ - وبعدها ، وما يزال قائما إلى يومنا هذا ، وهو حجة لا سبيل إلى المماحكة فيها ، وما يزال القرآن يتيمز من كل كلام يقوله البشر ، تميزا واضحا قاطعا وسـيظل كذلك أبدا] [٣] لقوله تعالى :﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾[٤] وسيظل يحمل هذا الـتحدي وإعجازه صورة خطاب متجدد في كل عصر وزمن وبيئة ، فلم نجد أحدا جاء بمثله ، أو أنكر هذا الإعجاز .

---

(١) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية ص٣٣٦

(٢) سورة البقرة الآيات (٢١- ٢٤)

(٣) في ظلال القرآن ٤٨/١ .

(٤) سورة البقرة الآية(٢٤)

وهكذا تتوالى الآيات الموجهة إلى البشرية جمعاء والمبدوءة بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس﴾ وهى وإن كانت فى جميعها تدعو إلى توحيد الله تعالى ، وعبادته وحده لا شريك لـــه ، فإنها تعتمد على دليل الفطرة أو دلالة الخلق التى يُقربها ويعتـــرف بهـــا الكفار والمشركون قال الله تعالى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَـــنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْــأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ﴾[1].

ومن هنا يأتى الخطاب الداعى للتوحيد اعتمادا على هذه الحقيقة : ﴿ يَـــا أَيُّهَـــا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[2] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَـــدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْـــهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [3]﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـــاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَـــوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَـــإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [4].

بنية الخطاب العقدي وآلية التجديد :

ومن بين مظاهر فلسفة الخطاب العقدى الإسلامى أنه كان يشرع دائمـــا فـــى إحداث تغييرات متواصلة في بنية خطابه ، لا سيما إذا وجد الاستجابة فـــى تراخـــي وخمول، أو رأى أن البنية المعرفية للمجتمع قد بدأت تشكل عائقا أمام الفقه والتأمـــل ؛ لذلك رأيناه يستخدم :

أولا : استراتيجية إنشاء المعانى :

إن الخطاب القرآني فى تأسيس المعانى وإقامة الحجة والبرهان ، والسعى نحو بناء الدليل والإقناع ، يعمد إلى استرتيجة إنشاء المعاني ، ذلـــك أن تغييـــر الأفكـــار والآراء والمعتقدات يتطلب إنشاء معان جديدة لتحل محل المعاني والألفاظ الراسخة فى الأذهان ، وفي هذا يقول بعض الباحثين : (وفي القرآن الكريم نجد استخداما واســـعا

---

(١) سورة لقمان: من الآية٢٥.
(٢) سورة فاطر الآية (٣)
(٣) سورة الحج الآية (٧٣).
(٤) سورة الحج الآية (٥)

لهذه الاستراتيجية ، خاصة وأن الإسلام جاء لتغيير مجتمع كان يعيش في جهل وتخلف، ويحتاج إلى صيغ جديدة تقوم على قيم فاضلة وأخلاق حميدة ومثل وسلوكيات يجب أن تتبع)[١] .

ولذلك فإن إنشاء المعانى الجديدة ، ومصطلحاتها المحدثة قد شمل الجوانب المختلفة السلوكية والعبادية والعقدية وغيرها من المجالات.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة منها :

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾[٢] .

ثانيًا : التكرار وأثره فى التحصيل، ذلك أن الكلام – كما هو معروف – إذا تكرر تقرر. ومن ثم فإن عرض الفكرة بأكثر من أسلوب ، وفي مناسبات مختلفة ، وكذلك بيئات متباينة ، مراعاة لأحوال وظروف المخاطبين من أهم الملامح الرئيسية للخطاب العقدى الإسلامي، فمراعاة الظرف الاتصالى فى الخطاب يمثل بصورة كبيرة جوهر الفاعلية المطلوبة[٣] . ذلك أن التبليغ الواضح لا يترك للسامع حجة.

إن تعدد وتكرار المعانى فى القرآن الكريم ، نجد أنها عبارة عن تنوع وتجديد فى أسلوب الخطاب ومنهجه ، وعرض الفكرة أو المسألة بالحجة والدليل والبرهان المناسب للعقلية المراد خطابها يقول د. الحفنى : (تعدد الآيات والمعانى في موضوع معين فى القرآن ليس فى حقيقته تكرارًا أو تعددا – وإنما هو تنويع فى الأسلوب، وإضافات إلى المعاني لتلائم كل نوعيات العقول والمدارك ، وتلائم – أيضا – طبيعة النفوس فى مشاعرها وتكوينها ، كما يحدث فى استجابة بعض النفوس لداعى الخير والترغيب، بينما بعضها لا يستجيب إلا تحت الخوف والوعيد فالقرآن فى تنوع أساليبه يأتي لكل النفوس من الأبواب التي تلائمها ، حتى يستنفد كل الحجج ، ويغلق كل الأعذار التي يمكن أن يعتذر بها ظالموا أنفسهم يوم القيامة ، ومثل هذا الجانب في القرآن يمكن أن يوصف في عرف الكتب بأنه (باب العقيدة) [٤] .

وهناك العديد من الأمثلة التي تدل على ذلك ، وتقرب المعنى مثال ذلك ما نجده من الواقع الاجتماعي للعرب ومجادلة من نضج عقله وإدراكه، حيث كان يوجه فقط

---

(١) من أساليب الإقناع فى القرآن الكريم ص٩٦.

(٢) سورة البقرة ١٠٤.

(٣) انظر الجوانب الإعلامية ص٢٣.

(٤) إنصاف الخصم ص٢٩٢.

إلـــى الموازنة بين صفات الله تعالى ، وصفات ساداتهم فيقول الله تعالى:(وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَــنِ الْقَــوْمِ الْمُجْرِمِينَ)[1] كما أن من صفات الحق سبحانه تعالى أنه إن أراد خيرا لأحد فــلا يملك أحد أن يرد هذا الخير فيقول :(وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ) [2] أما من تثــيرهم العواطــف وتــتأثر مشـــاعرهم بعادة الإطعام ، فإن القرآن الكريم يوجهنا هنا بأسلوب يتميز فيه الحق تعالى عن كل المطعمين ، فهو المعطى دون حاجة (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَــمُ)[3] . أما الذين لا تنفع معهم إلا القوة ، ويبهرون بها ، ويتبعونها ، فيخاطبهم الله تعالى بأسلوب جديد ، يعرفونه ، وهو الجوار فيقول : (وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ) [4]

إن التكرار في مجال الخطاب العقدي له تأثير في :

أ- إثـــبات الألوهـــية ، وتقرير الوحدانية ، بل يعد من الوسائل التربوية المفيدة في تأكيد المبادئ ، وترسيخ المعتقد حتى يصبح له فاعلية مؤثرة ، كما أنه يأتي أحيانا لتوجيه من شأنه التهيئة والتقديم لإبراز الوحدانية ومواجهة المعارض . [5]

ب- إن الـــتكرار – كما يرى كثير من علماء الاتصال من أهم العوامل التي تساعد علـــى الإقـــناع [ذلـــك أن التكرار يؤدي إلى تذكير الملتقى باستمرار بالهدف من الرسالة ، ويثير في الوقت نفسه احتياجاته ورغباته] [6]

ج- ويعـــد الـــتكرار من اللبنات الأساسية في بيئة الخطاب العقدي فهو يعمل على حـــياة القلـــوب ، وينـــبه العقول ويستحث السامع ويشعره بضرورة الفهم لما يلقي علـــيه ، وأهمـــية تدبره بعيدا عن العناد والهوى (إن ترسيخ الأحكام والتأكيد عليها قد يضاف إليهما مخاطبة الوجدان ، وتحريك السواكن قبل تبليغ المعلومة أو الحكم إلى المستجمعين . وهذا النوع يشترك في الهدف مع السؤال التنشيطي [7]

---

(١) سورة الأنعام الآية(١٤٧).

(٢) سورة يونس الآية(١٠٧).

(٣) سورة الأنعام الآية(١٤).

(٤) سورة المؤمنون الآية(٨٨).

(٥)د. حسين نصار : التكرار ص٧٢ ، ٧٣.

(٦) من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص٧٠.

(٧) العلـــم وأهلـــه ص١٩٤ ويـــبدو ذلـــك من قراءة موقف (رسول ﷺ ومخاطبته اليهود حينما قرر إخـــراجهم مـــن المدينة ففي صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب في بيع المكروه ونحو .. [فقام النبي ﷺ ونـــاداهم : يـــا معشـــر يهود أسلموا تسلموا فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم فقال ذلك أريد : ثم قالها ثانـــية فقـــالوا قد بلغت يا أبا القسم ، ثم قال الثالثة فقال : اعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أحيكم ، فمن وجد فيكم عالم فليبعه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله] .

د- إن التكرار إذ يرسخ المعاني ويؤمن السياق ، فإنه في الوقت ذاته يبث الفكر ، ويثبت الحجج [١]

ثالثا : ويرتبط بمسألة إنشاء المعاني تعدد الألفاظ وتنوعها في إقامة الحجة والبرهان ، حيث رأينا أن تعدد التعبيرات والألفاظ يرفع الالتباس ، وكذا الشك من الصدور ، فلو أخذنا مثلا مسألة نزول عيسى عليه السلام وهي إحدى المسائل المهمة ، وعلامة أساسية من علامات يوم القيامة ، وأحد أشراط الساعة رأينا الأحاديث النبوية تستخدم ، بل تتفنن في استخدام الألفاظ التي تتناسب مع الطوائف والديانات المختلفة فرأينا ألفاظ النزول ، والرجوع ، والبعث والخروج ، والفناء والموت .

ومن تتبع هذه الألفاظ وجد أنها تفاوتت في الاستخدام ، فقد كثر استخدام واطلاق لفظ النزول بخلاف الرجوع ، ذلك لأن الخطاب موجه إلى اليهودية ، والمسيحية والإسلام [وقد راعى ﷺ في الخطاب مع كل طائفة ما يناسب حالها ، فأتى في خطاب اليهود بلفظ الحياة ، ونفي الموت ، وقال لهم : إن عيسى لم يمت ، وهو راجع إليكم قبل يوم القيامة] [٢]. وذلك لأن اليهود اعتقدوا بوفاته ، فأوضح ضلالهم عن الصواب .

وأورد في خطاب النصارى بلفظ : يأتي عليه الفناء ؛ وذلك لأنهم كانوا يعتقدون حياة عيسى عليه السلام مثل المسلمين ، إلا إنهم ضلوا في نفي الموت عنه إلى الأبد ، وفي جعله قديما ، لاعتقادهم فيه الألوهية ، فرد ذلك ﷺ بقوله يأتي عليه الفناء ، أي أنه وإن كان حيا إلى الآن فإنه لا ينجو من الموت في الآخر .

أما في خطابه المسلمين فجاء لفظ النزول كثيرا ، إذ لم يكن همهم من أمر عيسى عليه السلام إلا هذا][٣]

- مراعاة الأحوال الاجتماعية والبيئية :

وترتبط فلسفة الخطاب العقدي الإسلامي بجانب مهم ومؤثر ، وهو أن قارئ الخطاب ، والمبلغ ينظر إلى المنظومة الاجتماعية ، والبيئية ، وما يحدثه الخطاب فيها،

---

(١) الثقافة العربية وعصر المعلومات ٤٦٥.

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤٥٥/٦ ، وفي هذا رد بين على اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه ، فبين الحديث أنه هو الذي سيقتلهم.

(٣) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد ٢ / ١٠٦٩

فلقـــد راعي النبي ﷺ أحوال القوم ، وحداثة عهدهم بالإسلام ، في سلوك عملي في أمر يرتـــبط بقـــبلة المسلمين ألا وهو الكعبة ، يبرز ذلك فيما يرويه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال :قال ابن الزبير للأسود : حدثني عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فإنها كانت تفضي إليك .قال : أخبرتني أن نبي الله ﷺ قال لها "لولا أن قومك حديث عهدهم بجاهلية لهدمت الكعبة ثم لجعلت لها بابين" فلما ملك ابن الزبير هدمها وجعل لها بابين [١]

وفـــي روايـــة أخـــرى :. إن رسول الله ﷺ قال : "يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفـــر لنقبـــت البيـــت – قال أبي: قال الأنصاري لنقضت البيت – حتى أزيد فيه من الحجـــر فإن قومك قصروا عن البناء" [٢] فقال حارث بن عبد الله بن أبي ربيعة لا تقل هـــذا يا أمير المؤمنين فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا فقال لو كنت سمعت هذا قبل أن اهدمه لتركته على بناء ابن الزبير .

وفـــي رواية ثالثة عن عائشة أيضا – أن رسول الله ﷺ قال لها " لولا أن قومك حديـــث عهـــد بشـــرك – أو بجاهلية – لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض ، وجعلت لها بابيـــن؛ بابـــاً شـــرقياً ؛ وبابـــاً غربـــياً وزدت فيها من الحجر ستة أذرع ، فإن قريشاً اقتصرتها حين بنت الكعبة " [٣] .

إن خطـــاب الأمـــم والشعوب ، ودعوتهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده في آيات العقـــيدة قـــد ربـــط بيـــن الدنـــيا والآخرة ؛ ولذلك نلحظ الربط الوثيق لمسائل التوحيد بمشـــكلات المجتمع، يقول بعض الباحثين :(إن منهج القرآن الكريم لا يقوم على فصل الدنـــيا عـــن الآخرة، إنه ربط قضايا الناس بالتوحيد ، والدعوة، وذلك هو منهج الأنبياء الســـابقين علـــيهم صـــلوات الله وســـلامه أجمعين ، فقد دعوا إلى توحيد الله من خلال المشـــكلات الاجتماعـــية التي تموج به مجتمعاتهم وهي مشكلات صناعية وزراعية ، وخلفية ، وتجارية)[٤] .

ومـــن الأمـــثلة في الأمم السابقة نجد ذلك واضحا في قصة نوح مع قومه ، فـــبالرغم من تنويعه وتجديده في أطر الخطاب – كما سبق -، فإن قومه لم ينتبهوا إليه

---

(١) مسند أحمد رقم : ٢٥٣١٤

(٢) مسند أحمد رقم ٢٦٠٢٩

(٣) مسند أحمد حديث رقم ٢٥٣٣٩

(٤) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ص ٦٣٧

كثـيرا ، ومـن ثم لجأ إلى معالجة المشكلات التي تعترضهم وتمس واقعهم فكان الوعد بالأنهـار الكثـيرة ، والبسـاتين الجمـيلة ، وكثرة البنين ، والأموال وفوق ذلك مغفرة الذنـوب والـتوبة ، فقال : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً *يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً " [١]بهذا نراه يسد حاجـة الفقراء والأغنياء وتطلعاتهم ، والروح وفي الأمثلة التطبيقية على ذلك في سيرة نبيـنا ﷺ ربط التجارة بالعبودية لله تعالى وحده لا شريك له ، جاء ذلك في سورة كاملة مـن سور القرآن الكريم "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ*إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" [٢]

فتلبـية حاجـات الـناس وإشباعها ماديًا ومعنويًا ولغويًا ، لغة في الخطاب، ذات أهمية كبيرة في تحصيل الاعتقاد فضلاً عن تثبيته ، كما أنها إحدى وسائل الإقناع والبرهان .

وإذا كانـت الآيـات الداعية إلى تأسيس الاعتقاد قد عنيت بالمشكلات المختلفة في المجـتمع ، الاقتصـادية ، والاجتماعـية، والسياسة وغيرها من المشكلات ، وربطتها بالواقع وما فيه من القيم ، فإننا نجد هذا على مستويين :

الأول : يـتعلق بالمؤمنيـن أنفسـهم ،وصلة آيات الاعتقاد بزيادة واضمحلال هذه المشكلات ، تبعا لزيادة ونقصان الإيمان لدى المؤمنين أنفسهم .

الثانـي : يرتـبط بالناس كافة ، وإن كان يخص أهل الشرك والكفر فنجدها تحذر من مواقف المستقبل في ضوء ما مضى ، وتعمل بمبدأ (الفرص المفتوحة) – كما رأينا فـي دعـوة سـيدنا نوح إلى قومه، مثلا، وعلى أية حال فإن الآيات العقدية تجدد دائمًا أسلوب الدعوة من خلال قضية محورية وهي ارتباط "الإيمان بالعمل" .

الاتصال المباشرة :

إن الاتصـال المباشـر بالمخاطبيـن مـن أهم سمات الخطاب الإسلامي بعامة ، والعقـدي بخاصة، وإذا كنا نؤمن بأهمية وسائل الاتصال الحديثة والمعاصرة : الإذاعة – الـتلفزيون والانترنـت ... إلخ ومدى مالها من تأثير في البلاغ ، فإنها لا تكفى في

---

(١) سورة نوح الآيات (١٠- ١١- ١٢)

(٢) سـورة قـريش [١- ٤] . يرى بعض الباحثين أن عدم تضمين الخطاب الإسلامي مواقف عملية مـن المشـكلات الاجتماعـية ، ويجعله خطابا مثاليا جامداً ، غير مرن أو مرن انظر : وسام فؤاد : الخطـاب الاسلامي الماهية وإشكالات التجديد – مجلة منار الإسلام العدد ٣٦٨ شعبان ١٤٢٦هـ ص ٢٨ .

زرع اليقين ، ولذلك كان لابد من أن تلحق أو تواكب هذه المرحلة، مرحلة الاقناع والتبني لماذا ؟ (فقد يسمع الجمهور إلى الفكرة أو يقرؤها ولكنه بالصورة التى تتفق مع إطاره الدلالي وتنسجم مع نظرته للحياة ومع ثقافته وفكره السابق الذى قد يكون فكراً مشوها بفعل معاول الهدم وعوامل التشويه والقوى المعادية للإسلام) [1].

ومن هنا كانت ضرورة اتصال المخاطب بجمهور المخاطبين لا سيما غير المسلمين ، هذه المواجهة المباشرة يتم فيها تبادل الرأى والنقاش والحوار والمناظرة، والمؤتمرات الثقافية وعقد الندوات وذلك كله من أجل الإقناع بالعقل والمنطق [عن طريق الاتصال الشخصي والجمعي إلى جانب وسائل الاتصال الجماهيرى][2].

والمقصود أن عملية الخطاب – هنا–ينبغي أن تتم في صورتين أو على مرحلتين: المرحلة الأولى : تتمثل في تلك الوسائل ذات الاتصال السريع في نقل الخبر والمعلومة والبلاغ والنشر على أوسع نطاق.

أما المرحلة الثانية وهى التي تعد أكثر فعالية وتأثيرها له بالغ الأثر في التوجيه وتعليم أصول الدين ، ويتم ذلك وفق الإقناع عن طريق الاتصال المباشر . يقول بعض الباحثين : [أما المرحلة الثانية وهى مرحلة الإقناع بهذه المعلومة تتطلب مواجهة مباشرة مع الجمهور لمجادلتهم ، وعرض الحجج المنطقية والبراهين العقلية لإقناعهم][3].

وبتصفح السيرة نجد أحداثا تؤسس الوسيلة ، من دعوة النبي ﷺ للمشركين وندائه على جبل الصفا ، وهى تمثل الوسيلة العامة ونشر الخبر في أكبر عدد [4]، ثم طلبه من على –رضى الله عنه – ليصنع طعاما لقومه ثم بدأ يدعوهم على نطاق أضيق، ثم

---

(١) الإعلام عن الإسلام ص١٥.

(٢) المصدر السابق ص١٥.

(٣) المصدر السابق ص١٦.

(٤) فللقارئ أن يتصور هذا النداء من رسول الله ﷺ في بطون قريش ، ويدعوهم قبائل قبائل : يـا بني فهر ، يا بني عدى يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب ، فأسرع الناس إليه حتى إن الرجل الذى لم يستطع الخروج أرسل رسولا ليري الأمر ... انظر تفصيل الخبر في ذلك فتح البارى جـ٥/٤٤٩، ٤٥٠ حديث رقم ٢٧٥٣ وانظر : الرحيق المختوم ص١١٨.

يدعوا القرآن الكريم إلى تضيق الدائرة حتى تكون بين اثنين فحسب فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾[1] .

وهكذا تمتلئ أحداث الدعوة بفنون الخطاب المتعددة والمتباينة ، ذات الفائدة الكبري في بناء اليقين وصحيح الاعتقاد .

---

(١) الآية ٤٦ من سورة سبأ .

وهى تحمل منهجا متكاملاً في الخطاب ، وأسلوبا في البحث عن الحقيقة ، بعيداً عن المؤثرات المختلفة ، بعيدا عن الهوى والشائعات ، والخلط واللبس ، ورواسب التقليد المختلفة وغيرها من التيارات السائدة في البيئة ، كما أنها دعوة إلى طلب الحق لوجه الله تعالى والتقرب إليه ، كما أنها دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي يقول القرطبي : [الذهن حجة الله على العباد ، وهو العقل ، فأوفرهم عقلا أوفرهم حظا من الله ، فإذا كانوا فرادي كانت فكرة واحدة ، وإن كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد] انظر القرطبى جـ١٤/ ١٩٩ ، في ظلال القرآن جـ٥ / ٢٩١٤.

المبحث الثاني

حملة الخطاب

وإذا كانـت الصـفحات السـالفة قد عنيت بالرسالة الخطابية العقدية وما بها من مقومـات وخصائص تأصيلية ، ومالقيته من مواجهة وصدود فى التحصيل ، فإنه لابد مـن الإشـارة إلـى مؤدي الخطاب، وقارئه ومتفهمه ، ذلك أن الجوانب المعرفية التى يـتحلى بها مؤدي الخطاب ذات أثر بالغ في : القراء للرسالة ، وتبليغ هذه القراءة ، أو البحـث وتبلغه . وقد رأينا عناية النبي ﷺ بخصائص وسمات أولئك الرجال الذين بعثهم وأوفدهـم بالرسـالة إلى الملوك والقياصرة والقبائل . وهذا يدفعنا – بطبيعة الحال إلى الحديـث – أيضـا– عن المتكلمين وأهمية العناية بهم لعظم الدور الذى يقومون به، أى أى أننا أمام دراسة مسألتين :

الأولـى ، إلقـاء نظـرة سـريعة حول أهم الخصائص والسمات العامة التى كان يتصف بها حملة الخطاب والرسالة فى العهد الأول .

والأخـرى ، دراسـة المؤهـلات التى ينبغي توافرها في المتكلم الذى يحمل هذه الرسالة ، والمنوط به تجديد وتطوير الخطاب العقدي .

والمـناطق المخـتلفة ممن لهم معرفة وخبرة وممن تتوفر فيهم خصائص وسمات سوف يأتى تفصيلها فيما يأتي :-

أمـا المسـألة الأولـى والتي تتمثل في أولئك الذين حملهم رسول الله ﷺ مسئولية الـبلاغ والدعـوة ، وهم أولئك الذين بعثوا إلى تلك الفئة من أعراب الصحراء الوثنيين والبدائييـن ، فأولـئك كـانوا فى حاجة إلى تأهيل حضاري واجتماعي ، وإنقاذهم من مزاولات الهمجية الاجتماعية وخرافات الوثنية[١] .

وهـؤلاء الصـحابة الذين اختارهم النبي ﷺ قد اتسموا بالخبرة والمعرفة والمرونة والقـدرة علـى مواجهـة المستجدات ومن أبرز الأمثلة على ذلك سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه .

حيـث تعد عملية التدريب والتربية على كيفية استخدام الخطاب ولغته والتعامل مع مـن سيذهب إليهم ، بدا هذا واضحا فيما رواه أبو داود في سننه : أن رسول الله ﷺ لما

---

(١) أزمة العقل المسلم ص١٥٢.

أراد أن يبعـث معاذا إلى اليمن قال : كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجـد فـي سنة رسول الله ﷺ ، ولا في كتاب الله ؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب رسـول الله ﷺ صـدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول سول الله لما يرضى رسول الله(١).

وهكـذا اطمـأن رسـول الله ﷺ إلى أولئك النفر بأن لهم قدرة على محاورة أهل الحضـارات المؤهلين للخيار كالفرس والمجوس والروم(٢) وغيرهم من الصحابة وأنهم كـانوا مدربين وأصحاب خبرة في هذا المجال، حيث كانوا يمتلكون قدرات خاصة من الفهـم والوعـي والحكمة وسداد الرأى ومع ذلك فإن النبي ﷺ - قد جمع هؤلاء الرسل جمـيعا ، وأوصاهم بتقوى الله تعالى وطاعته ، وحذرهم من الوقوع فيما وقع فيه رسل سـيدنا عيسى عليه السلام حيث كانوا يبلغون القريب ويتركون البعيد فقد ذكر ابن سعد فـي طـبقاته الكـبري عن الشعبي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : وافوني بأجمعكم بـالغداة ، وكان ﷺ إذا صلى الفجر حبس في مصلاة قليلا يسبح ويدعو ، ثم التفت إليهم فبعـث عدة إلى عدة وقال لهم : انصحوا لله في عباده فإنه من استرعى شيئا من أمور الناس ثم لم ينصح لهم حرم الله عليه الجنة، انطلقوا ولاتصفوا كما صنعت رسل عيسى ابـن مريم ، فإنهم أتوا القريب وتركوا البعيد فأصبحوا - يعنى الرسل - كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم(٣).

وهـذا يؤكـد ويؤصـل الإعـداد الجيد ، والتربية الروحية لتلك الفئة التى تتولي الخطاب الدعوى.

أمـا المسألة الثانية فتتعلق بحملة الخطاب في العصر الحاضر وكيفية إعدادهم لهذه المهمـة الجلـيلة ، حيـث يتمـثل هذا الفريق بصفة خاصة في المتكلمين الجدد ولغة خطـابهم ، وأهـم المشكلات التى تعرض طريق الخطاب الديني في عصرنا ، ولذلك

---

(١) سنن أبي داود- كتاب الأقضية - باب اجتهاد الرأى في القضاء حديث رقم ٣٥٩٢، وقم ٣٥٩٣.

(٢) أزمـة العقـل المسـلم ص١٥٣ من هؤلاء : دحية بن خليفة الكلبي إلى ملك الروم ، عبد الله بن حذافـة السـهمى إلـى كسـرى ملـك الفرس وعمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشي ملك الحبشة ، وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر ، والمهاجر.

(٣) منهج الرسول في دعوة أهل الكتاب جـ٢/٢٤٥.

بسط الحديث – هنا – بشيء من التفضيل عن الحديث عنهم لما يمثلونة من قوة أساسية فـــي الخطـــاب ، بل هم الأداة الفعالة الحية في توصيل هذه الرسالة إلى المخاطبين في شتى البقاع من هذه الأرض ..

أهمية دراسة المخاطب وأحواله :

إن المخاطــب نفسه فى هذا العصر يعد من أهم مشكلات الخطاب المعاصر ، ولا يعـنى هــذا أنـــه لـــم يكـــن يمثل مشكلة لدى القدماء ، فلقد كان المتكلم قديماً من أهم المشكلات الكلامية أيضًا .

وقـــد أدرك هـــذه الحقيقة أحد المستشرقين عندما قال : " إن الإسلام فى حاجة إلى علمـــاء توحيد ومؤرخين بقدر ما هو بحاجة إلى الفنيين والمهندسين ، إذا كان يريد أن يظل إحدى القوى الروحية فى المستقبل " [١].

ويقـــول بعض الباحثين : " فالإسلام لا يحتاج اليوم إلى من يضيف إليه جديداً فى عناصـــره ، ولو فعل ذلك لما كان إسلامًا ، وإنما الذى يحتاج إليه حتى يكون الحاكم : الدعاة "[٢].

ومـــن ثم فإن العناية بالمتكلم وإعداده وتكوينه للقيام بهذه المهمة ، يعد من المبادئ والأســـس الأولى لصياغة الخطاب العقدي ، وأداة من أهم أدواته في دفع الخطاب نحو تحقيق غايته الموضوعة له والمقصودة في عصرنا .

المتكلم ومهمته :

مـــن مقتضيات البحث تحديد المقصود بالمتكلم ، وذلك حتى يتسنى لنا تحديد مهمته ودوره المـــنوط به فهذا اللفظ يطلق فيذكر معه من يمارس علم الكلام وتكون له القدرة علـــى الكـــلام عـــندما يتـــناول مسائل أصول الدين، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورســـله والـــيوم الآخـــر ، والقدر خيره وشره ، فيكون تناوله لها شرحا وتفهيما وبيانا وحفظـــا لهـــا مـــع نشرها والدفاع عنها ، ويكون التحقيق بهذه الصناعة بالوقوف على «الأســـباب والوسائل والطرق ووضع المناهج الصالحة لنشر وبيان الدين في العالمين ، مع الالتزام بتقيد هذه السبل بسبيل القرآن الكريم والسنة الصحيحة مضافا إلى ذلك حفظ الدين والدفاع عنه .

---

(١) كتاب الإعلام بمناقب الإسلام ، هنرى لاووست هامش د.غراب ص٤١.

(٢) محمد الصباغ : من صفات الدعاة ط١= ١٩٧ م = ١٣٩-هـــ ص ٨.

ومعـــنى ذلـــك أن من مهام المتكلم الأساسية الدعوة إلى الإسلام بين أهله وغيرهم مـــن الملـــل الأخـــرى [1] ومن ثم فالمتكلم داعية بالدرجة الأولى ، وله من الخصائص والمقومات ما يؤهله لحمل هذه الدعوة ونشر تعاليمها .

المتكلم بين الرفض والقبول :

ممـــا لا ريب فيه أن جدلا محتدما قد دار قديما ولازال حول مشروعية علم الكلام ومـــدى أهميـــته في البيئة الإسلامية ، ونحن في هذا البحث لن نقف طويلا أمام عرض الآراء التـــي تباينت واختلفت حول مشروعيته ، وإنما نكتفي هنا ببيان بعض الأسباب التـــي ذكـــرت قديمـــا في موانع الاشتغال بهذا العلم مقارنا بينها وبين ما يتسم به أهل العصر من هذه الصفات . فإن الأمر قائم في هذا الزمان ، فضلاً عن أن أهل هذا العلم كثـــير الدخـــلاء ، والشـــروط التـــي تتوافر في دارس الكلام عزيزة كما يقول الجاحظ «وصـــناعة الكـــلام كثيرة الدخلاء ، والأدعياء ، قليلة الخلص والأصفياء والنجابة فيها غريبة ، والشروط التي تستحكم بها الصناعة بعيدة سحيقة» .[2]

ولذلـــك فـــإن القدامى لم يتركوا هذا العلم هملا مشاعا يتحدث فيه من شاء ، وإنما نجدهـــم يضـــعون الضـــوابط التي بها يخرجون ، بل يمنعون طوائف ذات خصائص وصـــفات معينة من الاشتغال بعلم الكلام . يقول النسفي محددا بعض هذه الأصناف :« والمـــنع فإنمـــا هـــو للمتعصب في الدين ، والقاصر عن تحصيل اليقين ، والقاصد إلى إفساد عقائد المسلمين ، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين» [3]

فهذا النص كما هو واضح يمنع أربع طوائف من الاشتغال بعلم الكلام وهي :

أ- المتعصب لمذهب دون غيره ، ولا يرى الحق إلا معه هو .

ب- مـــن لا تـــتوفر فـــيهم أوصـــاف الذكـــاء والفطنة والفصاحة ، وما من شأنه مساعدته على تحصيل اليقين وتأسيسه .

---

(١) لقـــد كـــان لعلـــم الكـــلام دوره الذي لا يمكن إنكاره ، وهو القيام بالدعوة إلى الإسلام بين الملى والذمـــي وغـــيرهم من أهل الشرك ، فلقد كانت مدافعته الثنوية والمانوية والرد على الملاحدة من أهم أســـباب قـــيام ونشأة مذاهب المعتزلة ، ولكنه كان تجريدا للعلم بمعنى أنه احتوى شقا واحدا دون الشق الثانـــي – كمـــا سنرى – راجع: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص٢١٠ –٤٢٩ ، وقارن المدخل إلى دراسة علم الكلام ص٢٩ .

(٢) الجاحظ – رسائل الجاحظ : رسالة صناعة الكلام ص٢٤٨ .

(٣) متن العقائد النسفية ص١٨.

ج – مـن أخطـأ طريق الدين ، ومن في دينه اعوجاج ، فذلك رجل غايته دراسة الدين لا الدفاع عنه ، وإنما لدحضه وإبطاله .

وهـذا الصنف تكشفه الممارسة العملية والعلمية ، فمن لم يقف على طريق الحق ، واعوج دينه فهو في حاجة إلى هداية نفسه أولا ، وذلك قبل أن يكون داعيا إلى التلبيس والتخليط ، ولذلك قال الغزالي أنه لا بد من أن يكون المشتغل ذا طبع دين لا تغلب عليه الشهوات إذ الفاسق ينخلع من دينه بأدنى شبهة .[1]

د- مـن يتوغل في الخوض في غوامض الفلاسفة مما لا يحتاج إليه لأن ذلك مما يجعله يعجب برأيه والحق وراءه [2]

هـ- ويضاف إلى ما سبق المتجرد للعلم ، فلقد نهى الشافعي عن التجرد لعلم الكلام وكذلك أخرجه الغزالي من دائرة علماء الدين أصلا فمن فقد الهداية أو الإرشاد وجب منعه من الاشتغال بهذا العلم . وإذا كانوا قديما قد تحروا الشروط الواجب توافرها في المتكلم وتصدوا لمن لم تكتمل فيه هذه الشروط من الاشتغال به وإذا كان القدماء بحثوا في الشروط الواجب توافرها للمشتغل به ، فحرى بنا ونحن في هذا الزمان أن نبحث وننظر في تلك الشروط ، وما أكثر من لا تنطبق عليهم من متكلمي عصرنا ، فهناك من هو متهم في دينه أو أخطأ الطريق إليه واعوج فهمه له ، وهناك من غايته دراسة الدين لدحضه وإبطاله لا لمعرفته والإيمان به ، وهناك المتجرد للعلم الذي فقد الجانب العملي من الدين .

فهـؤلاء بعـيدون – في ضوء المفهوم السابق – عن حراسة العقيدة ، فهم أهل تشكيك ورواد جدل عقيم، وهم أبعد ما يكونون عن روح الجدل الفقهي والكلامي ، أو قل إن شئت هم أصحاب دعوات فلسفية .

ومعلوم أن النفس إذا كانت غير قادرة على تأسيس اليقين لنفسها، فهي لا شك أشد عجزا عن تعليم الآخرين ، وذلك أن النفس المواجهة للقضايا والمشكلات العقدية ينبغي أن تكون على درجة عليا من أدلة أخرى لتثبيت ما لديها من يقين ، وهذا حال الكثيرين من أهل الفكر ، فإذا كان هناك المؤمن في أعلى درجات الإيمان الذي لا يكدره شئ ، وما يقابله من أهل الجحود في أعلى درجاته غير مبال بشئ ، فإن بينهما « المفكر

---

(١) إحياء علوم الدين ج١ ص٤

(٢) شرح متن العقائد النسفية ص١٩

الـذي تعوزه الأدلة العقلية الكافية للإيمان الهادئ الرزين ، ولكنه يعاني التفكير ويبحث عـن الحقـيقة الناصعة والتيقن في المعرفة ، سواء في أمور الدين أو العلم الذي تسكن إليه النفس ، وهذا هو الوضع الذي يعيشه كثير من الناس » [١]

إن المتأمل لتعريف الفارابي للمتكلم وتحديده لمهمته، يجد أنها مهمة أساسها نصرة الآراء التـي يسـتخدمها الفقيه لا أن يأتي هو بأصول جديدة يقول الفارابي :« والمتكلم ينصر الأشياء التي استعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط أصولا أخرى» [٢].

ولكنـنا نلاحـظ على كثير من المتكلمين محاولة الخروج عن هذه المهمة ، بل لقد خرج فريق فتدخل في منطقة القطعيات التي حددتها عقيدة ختم النبوة من مسائل العقيدة والعـبادة والأخـلاق والتشريع « وهي التي تجسد الوحدة العقيدية والفكرية والشعورية للأمة المسلمة » [٣]

فـبالعودة إلـى دراسة أسباب نشأة الفرق سنجد أن حرية الفكر غير المنضبطة كانـت مـن أهـم العوامـل فـي نشأتها وتعددها ، بل لقد أدى ذلك إلى تكوين الفرق والحـركات الهدامـة التـي قامت على الدعوة استئناف الوحي وتجديد النبوة، ومن ثم أباحـت حـرم المنطقة التي حددتها عقيدة ختم النبوة ، ولذلك اعتبرت هذه الفرق مارقة من الدين.[٤]

وهـذه النزعة العقلية الاعتزالية التي قامت في مواجهة القضايا والصراعات التي احتدمـت فـي الفـترة الأخيرة لو أنها :« أسست العودة إلى الكتاب والسنة على أسس راسـخة لكفكفـت من هذه النزعة التي تخدم الفكر الكلامي في الماضي ولعلها عاجزة عن إحيائه في الحاضر » . [٥]

وتشـابهت قلـوب هؤلاء وأولئك ، فأخذ هذا التيار الداعي إلى حرية الفكر يركز علـى دور العقـل فـي الإسـلام حتى «كاد بعضنا أن يلغي الوحي أو يحاصره بشتى السبل، ويعطل منهج النقل كليا وإن لم يجاهر بذلك» [٦]

---

(١) أبو ريدة : أمهات المسائل «القبس الكويتية» الجمعة ١٩٩٠/١/١٥ م العدد ٦٤٤٣

(٢) الفارابي : إحصاء العلوم ص ١٠٧، ١٠٨.

(٣) د. القرضاوي : أولويات الحركة الإسلامية في العصر الحديث ، ص١٠٢ .

(٤) جمال سلطان : تجديد الفكر الإسلامي ص٦٤

(٥) المدخل إلى دراسة علم الكلام ص١١٩

(٦) عمر عبيد حسنة : مقدمة فقه التدين ج١ ص١٠

إننا إذا نسند إلى المتكلم مهمة الدفاع عن العقيدة وحفظها من تشويش أهل البدعة، مـــع نشرها وبيانها يجعلنا نتشدد كثيرا بل قل نحكم التربية الثقافية والعقدية والروحية ، للمؤهليـــن للكـــلام . [1] بخطاب عقدى، ولذلك فإن القدماء قد فطنوا إلى قضية إصلاح العلـــوم الدينـــية منذ فترة مبكرة ، وعلموا أنه لا بد أولا من إصلاح القائمين على هذه العلـــوم ومـــنها علم الكلام ، فلقد أجمل العامري الفيلسوف هذه الصفات فى قوله : وأما الذى نستصلح به صناعة الكلام فهو أن يكون المنتمى إليه مع عرفانه أبواب المقاييس، ومـــثل الاجـــتهاد ، وتألـــيف المقدمـــات لاستخراج النتائج مستبعداً فى اعتقاده لمذهبه مســـتنكفًا عن اتباع أشياخه يحسن الظن ، متعففا عن التدليس عند لزوم الحجة ، متوقياً الـــتدرج إلـــى المغالطـــة والاستعلاء على الخصم بحسب الاستطالة ، فإنه متى لم يأخذ نفسه به يوشك أن يصير مثيراً للفتنة ، فيخسر الدنيا والآخرة "[2] .

وأمـــا المعاصرون فلقد أضافوا إلى هذه الخصائص وشرحوا بعضها ، حيث يرى بعـــض الباحثيـــن أنه لابد لمن عهد إليهم بصيانة الإسلام عن التحريف والمسلمين عن الانحـــراف والحفـــاظ على الدين والذب عن حوزته ، يرى أنه لابد لهم من أجل القيام بذلـــك مـــن " الصفات الدقيقة السامية المثالية ، والقوة الروحية ، والثقة بخلود الدين ، والغـــيرة عليه ، والقدرة على التمييز الدقيق بين الجاهلية والإسلام والاشراك والتوحيد والســـنة والـــبدعة والامتـــياز بالانشغال بالحديث الشريف ، ومطالعة تاريخ المصلحين المجددين للدين فى عصور مختلفة " [3].

إذا أردنـــا أن نتحدث عن شخصية المتكلم فإنه لا يمكننا أن نفصلها عن الشخصية العلمـــية ، وبـــناء الشخصـــية العلمـــية من الأمور الجدية التى لا تعرف الهزل ، ومن الأمـــور الإراديـــة التى لا يمكن بحال أن تخضع للصدفة أو التلقائية ، بل لابد إذا أردنا

---

(١) ليكـــن معلومـــا أنـــنا سنرمي بالتعصب والأنانية إذ نغلق الباب أمام تلك التيارات المارقة ، بل لقد حـــدث ذلـــك بـــالفعل عـــندما قال المبشرون في مؤتمر الحوار الذي عقد بين اليهود والمسيحيين وبين المســـلمين فـــي أســـبانيا في الفترة من ٦- ١١ يوليو سنة ١٩٨٦ حيث قالوا : إن الإسلام دين متشدد (أنانـــي) يدعـــى لنفســـه حـــق الانفراد بالدعوة والسيادة للبشرية كلها، ويدعي النسخ للشرائع السابقة «الـــيهودية والمســـيحية» ثم لا يسمح بقيام ديانات جديدة ولو كانت مشتقة منه مثل : الدروز والبهائية والأحمدية والقاديانية – راجع في ذلك : رسالة إلى البابا للدكتور عبد الودود شلبي ص٢٦- ٢٧.

(٢) العامري : الإعلام بمناقب الإسلام ص٢١.

(٣) الندوى : الدعوة والدعاة مسئولية وتاريخ ص٦٩.

تكويــن شخصـــية علمية أن نسير وفق خطة مرسومة يمثل الجانب الأخلاقى فيها أحد شـــقيا ذلـــك أن أخـــلاق الشخصية العلمية هو حياتها وروحها ، وكثير من الشخصيات العلمية تولد ولكنها تولد ميتة " وذلك إذا ولدت بدون خلق ، فلابد أن يدخل فى الحساب إصلاح القلوب قبل إصلاح الجسوم ، وتهذيب النفوس قبل تهذيب العقول" (١).

وإذا كانـــت كتـــب المتكلمين ، وكذا كتب الفقهاء ، قد خلت من أى إشارة لقضايا القلـــب وعلومـــه ؛ بما أدى إلى جفائهم فى صياغتهم للعلم (٢). فلك أن تفتح الآن – كما يقـــول بعـــض الباحثين – كتاب عقائد أو كتاب فقه فإنك لا تعثر فيهما على مبحث عن أدب الحـــياة ـــ وهذا يشير إلى أن هناك فراغا ما موجودا لابد أن يملأه علم من العلوم يكمـــل بناء علمي الفقه والعقائد ... "٣ إن المزج بين الفكر وعلوم القلب والروح يجعل المـــتكلم يحدثـــنا عن شعور ويسجل لنا تجربه تماماً كصوفية أهل الحق. من أجل ذلك رأيـــنا جهـــود العلماء القدامي وآراءهم فى إصلاح العلم قد وجهت الأنظار إلى الجانب الـــروحى وأثـــره فى صياغة علم الكلام وإصلاحه ، وكذا الأمر بالنسبة لمن أشار إلى إصلاح المتكلم حديثًا.

إذن فنحـــن أمـــام جانبيـــن أساســـين يمـــثلان محور هذا البحث ، وبهما نظن أن الشخصـــية الكلامـــية تكون صالحة إلى حد بعيد للقيام بدورها فى صياغة الكلام على الوجه الذى يتطلبه عصرنا الحاضر.

هذان الجانبان هما : الإعداد الروحى ، والتكوين الثقافي .

أولا : الإعداد الروحى :

الدعـــوة إلـــى الديـــن الإسلامى ليست دعوة فلسفية يكون النظر فيها إلى الكون ومشـــتملاته مسرحاً يؤلف الفلسوف منه نظريات، ويتركها هملاً دون رعاية أو حفظ أو نشـــر ، وإنما الدين الإسلامى دعوة حية تشتمل على هذه الجوانب بالإضافة إلى ما في الداعـــية المتكلم من قوة روحية يستقيم بها المعوج ويصحح بها المعتل حيث نجده " إذا رأى فتوراً نفخ فيه من روحه ليقوى ، وإذا رأى انحرافا صاح به ليستقيم "(٤).

---

(١) د.محمد إسماعيل عبده – مقومات الشخصية العلمية ص٧٢-٧٣.

(٢) يضـــاف إلـــى ذلـــك إهمال المتكلمين لكثير من مسائل الغيب كالإيمان بالملائكة ، فهو على الرغم من أنه أحد أصول الإيمان الخمسة إلا أنه ظلم من قبل المتكلمين .

(٣) جولات فى الفقهين الكبير والأكبر ص١٠٤ ، وانظر أيضا: ص١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

(٤) الغزالى : مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ص١٦١.

والإعداد التربوى والروحى قد نبه إليه أبو حامد الغزالى وحذر من نسيانه ، وذلك خوفـاً علـى المتكلم نفسه فضلاً عن المدعوين، ولذلك رأيناه يصف التجرد لعلم الكلام بأنـه مجـرد حراسة ليست معها سوى عقيدة ، حاملها معرض للهلاك إذا لم يتعهد قلبه إصـلاحاً وتزكـيه فـيقول: " والمـتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً"[١].

ثم يضيف الغزالى صفة أخرى وخصيصة جديدة لازمة للمتكلم ألا وهى أن يكون طـبعه صـالحا ديـنا نقياً، فلا تغلب عليه الشهوات ؛ لأن الفاسق ينخلع من دينه بأدنى شبهة[٢].

ذلـك أنه إذا كانت هداية الآخرين ودعوتهم وتصحيح معتقدهم من المهام الرئيسية للمـتكلم ، فإنـه لابـد من العناية به أولاً ، أى أنه لابد أن يكون حريصا على هداية : نفسـه ، ومـن ثـم كان تحذير الغزالى من إهمال جانب التربية الروحية وتهذيب نفس المتكلم .

فالغـزالى هـنا لا يرضـى للمتكلم المسلم بالدفاع عن الدين فحسب ، بل إنه ينفى صـفة العلـم عنه مالم يكن مشتغلا بإصلاح حياته القلبية والروحية ، ولا يتأتى ذلك إلا مـن خـلال ممارسـة الديـن ، لأنه وإن كان لابد للمتكلم من " جودة المعرفة بأصول الإسـلام وفروعه حتى إذا درسوه للناس نقلوا إليهم حقائق الإسلام كاملة "[٣] فلابد من الممارسـة ، فهـى من أهم وسائل النقل والتعليم والتفهيم ، بل هى حلقة الوصل الحية الـتى توجه المؤمن فى حياته ولعل فقدان هذه السمة سمة التكامل بين هذين الجانبين : الفكـرى والـروحى ، هو الذى أعطى لدراسة مسألة الإيمان فى الفكر الإسلامى شكلاً مغايـراً لمـا جـاء بـه الكتاب والسنة ، بل وساعد على احتدام الصراع حولها : هل الإيمان قول وعمل أم أنه قول دون عمل ؟ ...

وهـذا يتطلب وضع برنامج قلبي وعبادي للمتكلم ويكون شرطاً أساسياً فى تأهليه لـيكون بحق داعية تتكامل فيه فكرة الولاية والإرشاد فلقد " انفصلت فى عصرنا فكرة الولايـة عن رتبة الإرشاد " ، " فوجدنا من يقوم بالإرشاد وليس عنده صلاح قلب ونية

---

(١) إحياء علوم الدين : ١/١٠٤.

(٢) المصدر السابق : ١/١٠٤.

(٣) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ص١٦٠.

وعمل ، ووجدنا صالحاً لا يقوم بالإرشاد ، ووجدنا مرشداً لا يعرف الساحة التى يرشد الخلق إليها "[1].

والتأكـيد على التربية الروحية للمتكلم وصدق العاطفة فيه لا يعنى بحال أن يكون ذلـك عذراً للخلط العلمي أو القول فى دين الله بالهوى والرأى [2]، بل لابد من صواب المنهج ووضوح الفكرة وقوة الحجة.

وتأصـيل هـذا الجانـب لدى المتكلم إنما ينشر جواً من الود والمحبة على طبيعة الحـوار والمناقشة ، فيحولها من جدل عقيم إلى محاورة غايتها الهداية والإرشاد ، كما ينزع الجفاف والجفاء الذى سيطر أمداً طويلاً على دراسة هذا العلم ، مما كان سبباً فى هروب العامة إلى علوم التصوف يستكملون منها ما عز عليهم إدراكه فى علم الكلام ، ولكـن التصوف كثير المزالق وشطحات السائرين فيه أكثر من سدادهم ، ولا شك أن هـذا العلـم أنعـش عاطفـة الحـب وربط قلوب الناس ربطاً رقيقا ببديع السماوات والأرض، إلا أن مخاطر الشغل به تجعلنا نتوجس منه خيفة [3].

ثانيا : الإعداد الثقافي :

وممـا لا شك فيه أن المتكلم الداعية داخل الأرض الإسلامية تتباين ثقافته ويختلف إعداده عن المتكلم الداعية خارج بلاد الإسلام ، فالداعية المتكلم بين المسلمين لا يحتاج إلـى كثـير مـن العلوم المتعلقة بالبلدان الأخرى ، ويكفيه أن يقف على العلوم السابقة وإتقان منهج التذكير والوعظ وبيان الأحكام الشرعية والأقضية المحدثة .

أمـا إعـداد الداعـية المتكلم بين المسلمين وبين وغيرهم فإنه يحتاج إلى خبرات وعلـوم أخـرى كالعلم بالأديان والمذاهب والفرق ، والمؤثرات الاجتماعية : اقتصادية وسياسـية وقومية وتاريخية وجغرافية إلى غير ذلك من المعارف كاللغات التى يحتاجها للحديث بها بين هذه المجتمعات[4] .

---

(١) إجازة تخصص الدعاة ص٣.

(٢) الجانب العاطفي ص١٤.

(٣) عقيدة المسلم ص٨.

(٤) مجلة الأزهر : خطة مقترحة لإعداد الداعية المفتى ص١٥٤٢ يوليو ١٩٨٧م- ذى القعدة سنة ١٤٠٧هـ.

فدراســة الخصائص الفكرية والعقدية للشعوب التى يرسل إليها يساعد المتكلم فى رســالته وباســتدعاء التاريخ الكلامى، نلاحظ أن المعتزلة كانوا رواد هذا المجال فهم بالإضــافة إلــى زهدهــم وتقواهــم، قد تمكنوا من الأدوات الفكرية التى استطاعوا بها منافحة الملل الأخرى ومدافعتهم .

والــتاريخ المعاصــر يضــع أمامــنا تجربة ثرية، وهى منهج إعداد المستشرقين المبشــرين فهــم ينالون قبل بعثهم رعاية خاصة، وإعداداً محكماً ، ثم إنهم يخصصون لكــل مــنطقة فريق تبشير لا يعتمد على معلوماته وثقافته فحسب ، وإنما يتخذ من أهل المــناطق الــتى يرســلون إلــيها عضدا ونصيرا وهاديا، ويبدو هذا واضحا من مقال: جــورج . م لفنجســتون : فــي رسمه خطة لتنصير أفريقيا : أرسلوا المبشرين الذين يعملــون بــالدافع الذاتــي أساسا ، والذين لهم قدوة وموهبة إقامة الصداقات بين ثقافات متباينة ، والذين تكون شخصياتهم محبوبة عند العرب ، والذين لديهم انجذاب نحو ثقافة شمال أفريقيا" [١].

والمســتقرئ لنشــأة الفــرق المعاصــرة المارقة عن الدين يلحظ بوضوح أنها قد اعــتمدت علــى الدراســة الجغرافية والسياسية والدينية للمناطق التى نشأت بها ، ومن أشــهر هــذه الفــرق القاديانية ، والبهائية ، ولذلك كان لابد من التعرف المفصل على تــاريخ هــذه الفرق ونشأتها وهذا العلم : علم تاريخ نشأة المذاهب والفرق المعاصرة ، وإن كــان فــى حق المبعوثين واجبا ، فإنه أيضا من الواجب على المتكلم الذى يمارس عملــه داخل البيئة المسلمة ، تعلمه ومعرفة ودراسة الأساليب والطرق التى يدحض بها حججهم .

وبــناء علــى ذلك فلابد من إعداد وتأهيل المتكلمين والمبعوثين إلى الدول والبلاد غــير الإســلامية أو إلــى الأقليات المسلمة داخل البلاد غير المسلمة، ذلك أنه لابد من إعــداد خــاص لأمثال هؤلاء ، فالقضايا المثارة سواء لدى غير المسلمين أو المسلمين المعينيين هناك ، غير القضايا والمشكلات التى يعيشها المسلمون فى البلاد الإسلامية.

والمقصــود أنــه لإيجــاد مــثل هذه النوعية من المتكلمين الذي يتولون مسئولية الخطــاب العقــدي على صورته الصحيحة، فلابد من وجود معاهد تعني بهذا الشأن ، وتكــون مــناهجها ذات ارتــباط وثيق بالمكان الذى يوفد المتكلم إليه ، كالبيئة الثقافية

---

(١) موجز بحوث مؤتمر لوزان سنة ١٩٨٧م ص٧٢.

والدينية والجغرافية والسياسية والاقتصادية ويمكن أن يقوم بهذا العبء الجامعات الإسلامية العالمية إن وضعت ذلك هدفاً لها . فضلا عن الأقسام العلمية المختصة.

ومن المعلوم أن الغاية التى يوضع من أجلها العلم تلعب دوراً رئيسيا فى تحديد طبيعة الموضوعات التى يتناولها العلم ويعنى ببحثها ، ولكن على الرغم من ذلك فإنه يبقي لشخصية المتكلم النصيب الأوفر فى تطور وتشكيل الموضوعات الكلامية المختلفة ، حيث نرى موضوعاته تبرز فى ثوب يتشكل وفقاً لتكوين المتكلم الثقافي[١] .

ومما يجب التنبيه عليه هنا هو التفريق بين ما يحدث فى الدعوة من معاصرة ، ومعايشة حقيقية وممارسة واقعية للحياة الاجتماعية والفكرية ، وبين ما كان يحدث قديماً من مجادلات وممارسة واقعية للحياة الاجتماعية والفكرية ، وبين ما كان يحدث قديماً من مجادلات ومناظرات قائمة على شحذالهمم العقلية فقط، كأبي الهذيل والنظام والرازى وغيرهم من أصحاب الاتجاه الجدلى المحض فى الفكر الكلامي .

يقول الفخر الرازى فى وصيته " وأما الكتب العلمية التى صنفتها أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها فمن نظر فى شيء منها فإن طابت لــه تلك السؤالات فليذكرني فى صالح دعائه ، على سبيل التفضل والإنعام ، وإلا فليحذف القول السيء فإنى ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر "[٢].

ولذلك كان لابد من تحديد منهج الدراسة والتكوين الثقافي بالنسبة لشخصية المتكلم، وسوف تتولى الصفحات التالية إجمال أهم الخصائص الثقافية للمتكلم الذى يؤهل للخطاب العقدى في عصرنا هذا.

ولكن قبل أن نعرض لها نحب أن نشير إلى جزئية أساسية وهى من المسائل التى تصحب المتكلم وتحيط به أثناء بحثه ومناظرته وخطابه، ألا وهى مسألة النية فهى من الموضوعات التى أولاها أهل الكلام عناية فائقة، ويبرز ذلك واضحا جليا عند الممارسة العملية للمناظرات والمجادلات.

---

(١) وذلك وفقا لمتطلبات العصر ، وبمراجعة لما ذكره صاحب مفتاح السعادة سنرى اهتمامات المتكلمين بالفلسفة والعلوم الطبيعية قد جاءت وفقا لما تطلبه العصر من ضم لكل علم من هذه العلوم إلى مجموعة العلوم المساعدة للمتكلم على أداء مهمته على الوجه الأكمل – مفتاح السعادة جـ٢ ص٤٥٤.

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ٣ / ٤٢ط دار الثقافة بيروت / لبنان.

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة : " النية المعوجة تجعل الفكر معوجاً ، ولذلك تجد الأئمة الأعلام الذين أورثوا من بعدهم ذلك الفقه العميق كانوا ممن اشتهر بالورع قبل أن يشتهروا بالفقه ، وأخبارهم واضحة بالنور والمعرفة "[1].

ويبين الجويني أن أول شيء على المناظر " أن يقصد التقرب إلى الله سبحانه وطلب مرضاته في امتثال أمره سبحانه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعاء إلى الحق عن الباطل وعما يخبر فيه ، ويبالغ قدر طاقته فى البيان والكشف عن تحقيق الحق وتمحيق الباطل "[2].

ويبدو هذا - أيضا - عند أبى حنيفة عندما نهى ابنه حماد عن المناظرة ، فسأله ولده : رأيتك تتكلم ، فلم تنهانى ؟ قال : كنا نتكلم وكل واحد كأن على رأسه الطير مخافة أن يزل صاحبه ، وأنتم تتكلمون وكل واحد منكم يريد أن يزل صاحبه ويكفر[3].

والحقيقة أن دراسة آداب الجدل من أهم الأمور التى تعين أهل الخطاب الديني على تحقيق أغراضهم وتوصل دعوتهم وتشرح أغراضهم بوضوح وموضوعية.

ومن أهم العلوم التى يتسلح بها أهل الخطاب ما يلى :

١- علم البحث والمناظرة :

يعد الجدل من طرق الدعوة الإسلامية كما فى قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [4]ولذلك فإن التكوين الخلقي والقيمي للمخاطب من أهم سمات الجدل ، ويكون ذلك من خلال التحقق بآداب البحث والمناظرة.

فالدارس للجدل فى القرآن يرى أن السمة الغالبة هى تربية النفس ، وحثها على ترتيب عقلها من جديد فتتعلم السؤال والجواب وأسلوب الجدل الصحيح ، ومن ثم فلا عجب أن يعتمد القرآن " اعتماداً أساسيا ، وفي مواضع كثيرة جداً على أن يتصدى لأعدائه بالحوار والمحاجة المباشرة حيناً ، وعلى ألسنة الأنبياء والمؤمنين والسابقين حينا ، بل نلمس من حرص القرآن على إبراز أهمية المحاورة والمحاجة أنه لا

---

(١) أبو زهرة : أصول الفقه ص ٣٧٤.

(٢) الكافية في الجدل ص ٥٩.

(٣) إشارات المرام ص٣٥.

(٤) سورة النحل ، آية ١٢٥.

يقصرها على مهاجمة الأعداد والتصدى للمخالفين ، وإنما يجعلها في كثير من المواضع نماذج للتربية والتعليم والتوجيه ، كالحوار بين إبراهيم وابنه الذبيح ، وبين موسى وأخيه هارون ، وبين موسى وأستاذه الخضر "[١].

إن القرآن الكريم لا يدعو إلى الجدل مطلق ، وإنما هى دعوة مقيدة بقدر الحاجة إليها ، دون تشجيع على الخوض فيها ، أى أن الجدل قد "عرض له القرآن للحاجة ، وعلى مقدارها من غير أن يشجع على المضى فيه "[٢].

ولقد حدد القرآن للمتكلم المسلك الذى ينبغي أن يتبعه فى حالة تحول الحوار من شكله التعليمى وغايته التربوية ، إلى صورة جدلية محضة ، هذا المسلك هو الانصراف مباشرة والإعراض عن محادثة هؤلاء فيقول تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾[٣]، وقال : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [٤].

ولكنه مع ذلك إعراض مقيد لا يكون إلا أثناء الخوض فى آيات الله ، كما أنه إعراض مصحوب بالوعظ والإرشاد قال تعالى :﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[٥] فالقرآن يحرص فى كثير من آياته، لا سيما فى الآيات المتعلقة بالجدل ، على إبقاء حبل الود والتعاطف والألفة.

ويأتى هذا الحرص القرآني لكي لا يغلق مجالات الدعوة أو يوقف نشاطها ، لأن إغلاق مجال المحاورة والمناقشة ، وإحداث الشقاق والتدابر يقف حجر عثرة أمام مهمة المتكلم الدعوية ، والقرآن حينما دعا إلى الجدل وحث عليه إنما أراد أن يوضح أنه صنعة يتمكن بها متبع قواعده من تبليغ دعوته.

ولذلك فإن الآيات التالية للآية الداعية إلى اتخاذ الجدل سلوكاً لتبليغ الدعوة ، تحث على مسائل وشروط مكملة وتالية للطرق الثلاث السابقة : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ*وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ*إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٦].

---

(١) د. عبد الحليم حفنى – أسلوب المحاورة فى القرآن الكريم ص٢٧.
(٢) مصطفي عبد الرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة ص١١٦.
(٣) سورة آل عمران ، آية : ٢٠.
(٤) سورة النساء ، أية : ١٤٠.
(٥) سورة النساء ، آية : ٦٣.
(٦) سورة النحل ، الآيات ١٢٦– ١٢٨.

٢ – الأدب والبلاغة :

يؤكد الإمام الجويني على الناحية البلاغية والأدبية التى ينبغي على المتكلم إتقانها والعلم بها ، وذلك لأنه لا يمكن لمن " حرم حاسة البلاغة أن يخدم دينا كتابه معجزة بيانية ، ورسوله إمام الحكمة وفصل الخطاب "[١]. وذلك لما لهذا العنصر من دور أساسى فى صياغة العلم النافع وإبراز الحقائق بأسلوب يشع نفعاً وقوة ، ومن ثم فقد شرط الجوينى فى المتكلم المرسل للمجادلة والمناظرة ومحاورة الأطراف المخالفة اشترط أن يكون " فطنا لبيبا أريبا مهذباً أديباً ينطلق على عرفانه بيانه ، ويطاوعه فيما يحاول لسانه ، ذا عبارة رشيقة مشعرة بالحقيقة ، وألفاظه راقية مترقية عن الركاكة منحطة عن التعمق وشوارد الألفاظ مطبقة مفصلة المعنى من غير قصور ولا زيادة"[٢].

٣–علم إعجاز القرآن :

يعد علم إعجاز القرآن الكريم من أهم العلوم التى يتطلبها علم الكلام ، فهو من العلوم التى نشأت فى أحضان البحث الكلامى ، وتاريخه عريق ، يشهد له تلك المؤلفات العديدة والتى منها " إعجاز القرآن " لأبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) و"بيان إعجاز القرآن " لأبى سليمان حمد ابن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٥هـ)و "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني وكذلك " أسرار البلاغة " ، و" النكت فى إعجاز القرآن " للشيخ أبى الحسن الرمانى وغير ذلك من الكتب التى فهم مؤلفها واقعهم آنذاك فألفوها رداً على القضايا التى أثارها واقعهم وأفرزتها بيئهم .

وإذا كان هذا العلم قد تخلف زمناً طويلاً عن أداء دوره المنوط به، والذى نشأ من أجله فإن الشيخ محمود شاكر قد كتب " مداخل إعجاز القرآن " وأشار فيه إلى أنه مقدمة وتوطئة إلى بعث هذا العلم وإحيائه، سائلا الله تعالى أن يعينه « على متابعة» القول في إعجاز القرآن في وجه يمهد –إن شاء الله– لتأسيس علم خاص هو «علم إعجاز القرآن» يضارع علم البلاغة. [٣]

---

(١) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ص٢٠١

(٢) الجويني غياث الأمم ص ٢٠٧.

(٣) أبو فهر : محمد شاكر : مداخل إعجاز القرآن ص١–٨ ، والحقيقة أن هذه المداخل ذات أهمية كبيرة للمتكلم فهو أوفي من أرخ للإعجاز في القرنين والثالث والرابع ، بهذا البيان الرائع، فرحم الله الشيخ.

٤- المباحث الطبيعية :

تعد المباحث الطبيعية من أهم الموضوعات التي يتوقف عليها إثبات هذه العقيدة ، وتلك حقيقة تبدو جلية واضحة في المراحل المختلفة لهذا العلم، وكذلك نلسمها بوضوح في كافة المصنفات الكلامية قديمها وحديثها، أي أن الإعجاز العلمي أصيل لدى المتكلمين ، ولكنه في زماننا قد ازدادت العناية به لما ازدهرت الاكتشافات العلمية ، وظهر للراسخين في العلوم أن لا تعارض بين الحقيقة العلمية وبين الحقيقة الدينية . ومن مظاهر العناية المفرطة بهذا الاتجاه أن بعض المشتغلين بهذا العلم قد اعتبروا علم الكلام هو العلم الحديث .

ومن هنا كان لا بد للمتكلم أن يحيط علما بهذا العلم أسسه وضوابطه ومناهج البحث فيه ، الأدوات والأدلة إلي يقدمها هذا العلم لتأييد وتدعيم الأدلة العقلية على مسائل الدين وقضاياه.

فدراسة المباحث الطبيعية من المتكلم ليست مجرد جمع معلومات، ونتائج البحوث العلمية والإطلاع عليها فحسب ، وإنما تتركز وظيفته على استقبال كافة النتائج التى يخرجها الاكتشاف العلمي ، ثم يقوم هو بصياغة منظومة متكاملة تتأيد بها مسائل الدين.

٥- أصول الفقه :

لابد للمتكلم من إتقان علم أصول لفقه ودراسته دراسة واعية فهو العلم الذى يمنح المتكلم القدرة على تأييد الفقيه فى اجتهاداته المستوعبه لقضايا ومشكلات عصره "فهو ضرورى للمتكلم بل هو يمثل قواعد المنهج التى ينبغي أن يتبعها المجتهد ليستنبط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الإجمالية اليقينية.

والدعوة إلى تثقيف المتكلم بعلم أصول الفقه ليست بمحدثة ، فالناظر فى تاريخ هذا العلم يجد التحاما واضحا بينه وبين علم الكلام فقد "كان هذا العلم منهجاً للأصوليين عامة ، أى علماء أصول الفقه وعلماء أصول الدين ، واختلط العلمان – الفقه والكلام – فى العصور اختلاطا كبيراً بحيث كان الأصوليون أو علماء أصول الفقه يبدأون كتبهم بمقدمات كلامية ، وعلماء أصول الدين أو المتكلمون يبدأون كتبهم ببحث فى مدارك العقول ... "[1].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى جـ١ ، ٥٥ ، وقارن تمهيد لتاريخ الفلسفة ص٢٤٩، وانظر أيضا للدكتور مدكور : المنهج فى علم أصول الفقه ص٢٠.

والمقصود أن هذا العلم يعد مالكا للأدوات الحقيقية التى بها يتابع الاجتهاد مسيرته ويتم به التجديد الحقيقي للتفكير الإسلامى ، باعتبار أنه يمتلك الأدوات المنهجية التى ينطلق منها الباحث فى تنظيم فكرة ، واستنباط رأيه بمنهج له خصائصه واستقلاليته عن منهج أرسطو الصورى .

وفي النهاية لابد أن نكون دائما على ذكر أن الثقافة المعنية لا تقتصر على مجموعة العلوم التى سلفت الإشارة إليها فحسب بل أن يجب أن يكون السلوك والممارسة العملية التطبيقية واقفة على قمة هذه الثقافة، فالثقافة [ليست بأقل شأنا من الخلق، وليس كل نوع من أنواع الثقافة هو المطلوب في هذا الصدد . بل الثقافة ذات الخبرة بالمجتمع واتجاهاته وميوله . والثقافة التى تعرف نفوس الناس ومنازعهم ومشاربهم وعواطفهم هى التى تكون مفتاح التحرك للداعية ، وباب الولوج إلى قلب المدعو] [1].

---

(١) المنهج الحركى للسيرة ص٢٣.

خاتمة :

وبعد هذا العرض لفلسفة الخطاب العقدي يمكن القول : بأن هذا البحث قد خلص إلى عدة توجيهات، ونتائج لعلها تكون مؤسسة ، أولبنة في تجديد الخطاب الديني المعاصر بعامة ، ومبرزة لأهم آليات الخطاب العقدى الإسلامي وبيئته بخاصة ، وكلن من أهم هذه النتائج :

- يعد الاتصال المباشر بالمخاطبين من أنجح الوسائل في إقناع الآخر ، فالحوار والمناقشة وإقامة الحجج والبراهين ، والمناظرة ذات فعالية وأهمية كبيرة في الخطاب العقدي الإسلامي ، ومن ثم كان لابد من الرعاية والعناية الفائقة "بالمخاطب" : مرسل الرسالة المتكلم في مفهوم علم الكلام ، من حيث اختياره، وتربيته ثقافيا وعقديا واجتماعيا وسياسيا ، على اعتبار أنه يحمل رسالة عظيمة ، فلا بد أن تكون لديه القدرة على التحرك بها وحفظها فضلا عن نشرها ، فهذا الإعداد ينبغي أن يتناول – كما أوضح البحث – الجانبين : الروحى ، والتكوين الثقافي .
- يعتمد التحصيل على مسألة مهمة ، ألا وهي الاستماع ؛ ولذلك يجب مراعاتها بدقة بالغة ، ودراسة كافة الموانع والمعوقات أمام الاستماع في عصرنا ، سواء كانت مادية أو معنوية ، وقد أشار الباحث إلى عدة معوقات للتحصيل منها : التحريف والتبديل ، والاستكبار ، واللهو واللعب أثناء الاستماع ، والهروب من الحوار ، وجبرية التقاليد.
- بل لقد جعل الجهاد الوسيلة النهائية لفتح السبيل أمام الحرية وتحمل المسئولية ، حق أصيل للإنسان ، واضعًا الضوابط والقواعد الصارمة في هذا الشأن .
- أن الخطاب العقدي الإسلامي قد عنى بالحرية ، ذلك أن الإيمان الصحيح إنما يولد في جو من الحرية ، والانعتاق والخروج من أسر العادات والتقاليد وقيودها ، فلم يرغم أحدا على ترك دينه ، وأقام الحوار وناقش أتباع الديانات الآخرى ، تاركا للحجج والبراهين اليد الطولى في تأسيس اليقين.
- إن القرآن الكريم في آياته العقدية بناء لخطاب متجدد في متطور فى دلائله ، ثابت في مسائله ، ومن هنا فهو خطاب يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، والعالمية والاستمرارية؛ ولذلك تراه تارة يخاطب العالمين ، وأخرى المؤمنين أصحاب الإيمان واليقين ، متخذا لذلك وسيلة مهمة في مواجهة الجمود أمام

العقيدة والتحصيل ، هذه الوسيلة تتمثل في استراتيجية رائعة في إنشاء المعاني الجديدة ، والمصطلحات ذات الدلات المستحدثة .

- ويعد التكرار في الخطاب العقدي مؤثرا واضحا في إثبات الألوهية ، والإقناع، والتذكير ، وإحياء القلوب وتنشيط العقول ، وبث الفكر.
- ويظهر البحث – أيضا– أهمية مراعاة الأحوال الاجتماعية والبيئة في الخطاب العقدي الإسلامى ، بل تعد من أهم لبناته الرئيسة ، فربط الدنيا بالآخرة له قيمة لا تخفى فى تحصيل الاعتقاد بالإضافة إلى تنميته وزيادته، عند المؤمنين ، وتثبيته من بعد إنشائه لدى غيرهم .
- وفي النهاية لابد من استثمار وتوظيف كافة الوسائل والأدوات المختلفة ذات القدرة على إقناع الآخر ، وتمكين المخاطب من تملك زمامها ، ليكون فائقا في خطابه وما يعرض.



المصادر والمراجع

١. **أزمـــة العقل المسلم** ، د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، دار الهادى – بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م.

٢. **أســلوب المحاورة في القرآن الكريم** – د. عبد الحليم الحفني – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

٣. **الإســلام والنصــرانية مــع العلم والمدنية الشيخ محمد عبده** – مكتبة ومطبعة محمد على صبيح – ١٩٥٤م / ١٣٧٣هـ.

٤. **أمهــات المســائل** – د. محمد أبو الهادة أبو ريدة – جريدة القبس الكويتية عدد الجمعة ١٥/ ١١/ ١٩٩٠م العدد ٦٤٤٢.

٥. **أولويــات الحــركة الإســلامية في المرحلة القادمة** – د. يوسف القرضاوى – مكتبة وهبة – ط١- ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٦. **الاتصــال الصــامت وعمقــه التأثيرى في الآخرين** د.عودة عبد عودة – مقال بمجلة المسلم المعاصر العدد ١١٢ السنة الثامنة والعشرون ١٤٢٥- ٢٠٠٤م.

٧. **إجازة تخصيص الدعاة** – سعيد حوى – دار السلام – الطبعة الأولى – ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م.

٨. **إحصاء العلوم** – الفارابي – تحقيق : عثمان أمين الطبعة الثانية – ١٩٤٩م.

٩. **إحياء علوم الدين** – الغزالى – مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي – ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م.

١٠. **إشــارات المــرام مــن عــبارات الإمام** – حقق نصوصه وعلق عليه وضبطه يوســف عبد الرازق – مكتبة مصطفي البابي الحلبي – الطبعة الأولى ١٣٦٨ه، / ١٩٤٩م.

١١. **الإعلام بمناقب الإسلام** – أحمد عبد الحميد غراب – دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م.

١٢. **إنصــاف الخصــم فــي القرآن وأثره الإعلامي** – د. عبد الحليم حفني – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٢م.

١٣. **بلاغـــة الخطاب وعلم النص** د. صلاح فضل – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت العدد ١٦٤ صفر ١٤١٣هـ/ أغطس (آب) ١٩٩٢م.

١٤. **التكرار** د. حسن نصار – مكتبة الخانجي القاهرة – ط١ – ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥. **تجديــد التفكير الديني** – محمد إقبال – ترجمة عباس محمود راجعه عبد العزيز المراغي – د. مهدى علام – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة.

١٦. **تفســير الطــبري (جــامع البيان عن تأويل أى القرآن)** – أبو جعفر محمد بن جريــر الطــبري – حققــه وعلــق حواشية محمود محمد شاكر راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر – دار المعارف – مصر ، ط٢ ١٩٧١م.

١٧. **تمهــيد لدراســة الفلســفة الإسلامية** – مصطفي عبد الرازق – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ / ١٩٦٦م.

١٨. **الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربى** تأليف د. نبيل على – سلسلة عالم المعرفة – العدد ٢٧٦ ديسمبر ٢٠٠١م.

١٩. **الجــامع لأحكام القرآن** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط٥- ١٤١٧-١٩٩٦م.

٢٠. **الجانــب العاطفــي في الإسلام** – محمد الغزالى السقا – دار الدعوة – ط١ سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٢١. **الجوانــب الإعلامــية خطــب الرسول** ﷺ د. سعيد بن على ثابت – طبع ونشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ١٤١٧هـ.

٢٢. **جــولات فــي الفقهيــن الكبــير والأكبر** – سعيد حوى – مكتبة وهبة – ط٢ – ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٢٣. **الحــرب النفسية في صدر الإسلام (العهد المدني)** دار عالم الكتب – السعودية – ط٢ – ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٤. **حقــوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة** محمد الغزالى السقا – دار الدعوة – ط١ ١٤١٣هـ = ٩٢/ ١٩٩٣م.

٢٥. **حقـــوق الإنسان فى الإسلام** د. على عبد الواحد وافى ، وزارة الأوقاف سلسلة قضايا إسلامية – العدد ١٠٦ ط٢ القاهرة ١٤٢٤هـــ / ٢٠٠٤م.
٢٦. **حقـــوق الإنسان فى الإسلام** د. محمود غزلان – دار التوزيع والنشر الإسلامية – ١٤٢٣هـــ = ٢٠٠٢م.
٢٧. **الخطـــاب الإسلامى : الماهية وإشكالات التجديد** – وسام فؤاد مقال بمجلة منار الإسلام – العدد ٣٦٨.
٢٨. **الخطـــاب الديـــنى والواقع المعاصر** د. أحمد عبد الرحيم السايح المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ١٢٨ شوال ١٤٢٦هـــ /نوفمبر ٢٠٠٥م.
٢٩. **الخطـــاب الفلســـفي عـــند ابن رشد وأثره** فى كتابات محمد عبده وزكى نجيب محمود ، د. عصمت نصار – دار العلم – الفيوم – ٢٠٠٢م.
٣٠. **خطـــة مقترحة لإعداد الداعية المفتي** – مجلة الأزهر – يوليو سنة ١٩٨٧م – ذو العقدة سنة ١٤٠٧هـــ.
٣١. **دراســـات منطقية عند فلاسفة الإسلام** – الجزء الأول د. إبراهيم محمد إبراهيم صقر – مكتبة أم القرى الجديدة – الفيوم – ١٩٩٤م.
٣٢. **الدعـــوة والدعاة مسئولية وتاريخ** – أبو الحسن الندوي – سلسلة دعوة الحق – السنة السابعة – العدد ٨ ذو القعدة ١٤٠٨هـــ/ يوليو سنة ١٩٨٨م .
٣٣. **الرحـــيق المخـــتوم** – صـــفي الرحمن المباركفورى – دار الكتاب والسنة – باكستان – الطبعة الأولى ١٤١٧- ١٩٩٦م.
٣٤. **رســـالة إلـــى البابا والفاتيكان ذو الألف وجه** – د. عبد الودود شلبى – المختار الإسلامى – ١٩٩٣م.
٣٥. **رسالة التوحيد** – الأمام محمد عبده – مطبعة دار الشعب .
٣٦. **رسائل الجاحظ** – رسالة صناعة الكلام .
٣٧. **ســـنن أبـــي دواد الإمام الحافظ** أبي داود سليمان الأشعت السجستاني الأزدى – تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـــ= ١٩٩٥م.

٣٨. **السـيرة النـبوية** أبـو محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري تحقيق د. محمد فهمي السرجاني – المكتبة التوفيقية – الأزهر

٣٩. **العلم وأهله في الحديث النبوي الشريف** – د. محسن محمد سعيد عبد الناظر – مؤسسة الريان – بيروت – لبنان – ط١ ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م

٤٠. **عقـيدة المسلم** – محمد الغزالي – دار الدعوة – الطبعة الثالثة – ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٤١. **عـون المـريد بشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة** تأليف : عـبد الكـريم تتان ، محمد أديب الكيلاني راجعه وقدم له عبد الكريم الرفاعي ، وهبي سليمان الألباني – دار البشائر – دمشق ط٢ ١٤١٩هـ =١٩٩٩م

٤٢. **عيون الأنباء في طبقات** – ابن أبي أصيبعة – دار الثقافة – بيروت –لبنان .

٤٣. **غـياث الأمم في التياث الظلم** – الجويني – تحقيق ودراسة د. عبد العظيم الديب – قطر – الطبعة الأولى –١٤٠٠هـ .

٤٤. **فـتح الـباري بشرح صحيح البخاري** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني قام بشرحه : محب الدين الخطيب ، رقم كتبه محمد فؤاد عبد الباقي ، راجعه قصى محب الدين الخطيب – دار الريان للتراث – القاهرة ط٢ ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م

٤٥. **فـي ظلال القرآن** – سيد قطب – دار الشروق – ط١ السابعة عشرة ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.

٤٦. **مـدارك التـنزيل ، ودقـائق الـتأويل** أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النفسي – عيسى البابي الحلبى– بدون

٤٧. **المدخل الدراسة العقيدة الإسلامية** – د. إبراهيم بن محمد البريكان – دار السنة للنشر والتوزيع – السعودية ط٤ ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.

٤٨. **مع الله دراسات في الدعوة** – محمد الغزالي السقا – دار الكتب الإسلامية – ط ٦ سنة ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

٤٩. **ملوثـات البيئة الفكرية** – رؤية إسلامية د. عمار عبد السلام جيدل مقال بمجلة المسلم المعاصر– العدد ١٢٢ السنة الثامنة والعشرون – ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م .

٥٠. **مـــن أساليب الإقناع في القرآن الكريم** د: معتصم بابكر مصطفى – كتاب الأمة نظر –العدد ٩٥ – جمادى السنة (٢٣) الأولى ١٤٢٤هـ
٥١. **مـــن صـــفات الدعاة** – محمد الصباغ – المكتب الإسلامي – ط١- ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
٥٢. **مـــناهج أولى العزم من الرسل في تبليغ الدعوة على ضوء ما جاء في القرآن الكـــريم** – عـــبد الوهـــاب عبد العاطي عبد الله- دار الطاعبة المحمدية – ط١ ١٤١٢هـ /١٩٩١م.
٥٣. **مـــناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر** – د. عبد الرحمن بن زيد- دار إشبيليا – الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٥٤. **المنهج الحركي للسيرة النبوية** – منير محمد الغضبان- مكتبة المنار-الأردن- ط٢ ١٤٠٥ /١٩٨٥م.
٥٥. **مـــنهج الرســـول ﷺ فـــي دعـــوة أهـــل الكتاب** د. محمد بن سيدي بن الحبيب الشـــنقيطي – مكتـــبة أميـــن محمد أحمد سالم المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤١٣ /١٩٩٢م
٥٦. **المـــنهج في أصول الفقه** – د. عبد الحميد مذكور – بحث مقدم إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي التي أقامها المعهد العالي للفكر الإسلامي – جامعة الأمـــير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسطنطينية – الجزائر من ٩-١٢ سبتمبر ١٩٨٩م.
٥٧. **وظـــيفة الأخـــبار فـــي ســـورة الأنعام** د. سيد محمد ساداتي السنقيطي – مركز الدراسات والإعلام – دار إشبيليا السعودية – ط ٤ ١٤١٨ / ١٩٩٧م .
٥٨. **الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية** – د. حامد عبد لماجد قويسي – دار التوزيع والنشر الإسلامية – ط١ ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.
٥٩. **نشـــأة الفكـــر الفلسفي في الإسلام** – د. علي سامي النشار – دار المعارف – الطبعة الثامنة ١٩٨١م.